بسم الله الرحمن الرحيم

«واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ۝ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون»

(الأعراف ١٧٥، ١٧٦)

محاكمة سلمان رشدى المصرى علاء حامد

مسافة فى عقل رجل أم طعنة فى قلب أمة ؟

مع نص شهادة فرج فودة فى المحكمة للدفاع عن علاء حامد

أحمد أبو زيد
المشرف على صفحة وا إسلاماه بجريدة الحقيقة

تقديم
محمد عبد الله السمان





أحمد أبو زيد
المشرف على صفحة وا إسلاماه
بجريدة الحقيقة

محاكمة سلمان رشدي المصري
علاء حامد

مسافة في عقل رجل أم طعنة في قلب أمة ؟
مع نص شهادة فرج فودة في المحكمة للدفاع عن علاء حامد

تقديم
محمد عبد الله السمان

دار الفضيلة

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير
الإدارة: القاهرة - ٢٢ شارع محمد يوسف القاضي - كلية البنات
مصر الجديدة - ت ٢٢٢٢٦٦٢ - فاكس ٢٢٢٢٦٦٢
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة ت ٣٩٠٩٢٢١
دولة الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ [الأحزاب : ٥٧ – ٥٨]

﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ [التوبة : ٦١]

﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ﴾[المجادلة : ٢٠]

﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله كُبِتُوا كما كُبِتَ الذين من قبلهم ﴾ [المجادلة : ٥]

﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾ [التوبة : ٦٥]

﴿ ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أُذن ﴾ [التوبة : ٦١]



الإهداء

إلى أبى وأمى اللذين ربيانى صغيراً .. إلى أخى إبراهيم وأخى يوسف اللذين كافحا مع أبى فى تربيتى وتعليمى .. إلى زوجى أم إسلام وإلى ولدى إسلام .

إلى كل من علمنى حرفاً منذ ولدت وحتى الآن .. إلى دعاة الإسلام الأحرار الواقفين على ثغور الإسلام وما أكثرها فى هذا العصر .

إلى هؤلاء جميعاً أهدى هذا الكتاب الذى أدعو الله أن يتقبله منى ويجعله فى ميزان حسناتى يوم القيامة .

المؤلف



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم: محمد عبد الله السمان

لا جدال فى أن « حرية الرأى » قيمة إنسانية فى المقام الأول ، لأن الإنسان - دون سائر المخلوقات التى تعيش فوق هذه البسيطة - منحه الله العقل ، لكى يفكر ، وأن يكون له رأى يعبر عنه بحرية - كحق مقدس له .

ولكن الذى يثير الجدل هو أن تكون « حرية الرأى » مطلقة بلا أية ضوابط ، كما يريدها الفوضويون والعابثون وأدعياء الفكر والنظر والاجتهاد ، وكذلك أصحاب النزعات والاهواء والراغبون فى الشهرة بأى ثمن ، ولو تجردوا من ضمائرهم ومن أية قيمة أخلاقية ..

لقد أصابنا كتاب سلمان رشدى « آيات شيطانية » الذى صدر فى لندن ، بصداع لم نتخلص منه بعد ، وكنا نتوقع - إزاء الشهرة التى اكتسبها سلمان رشدى الهندى الأصل ، الإنجليزى بالتجنس - أن يظهر أكثر من سلمان رشدى ، فى البلاد العربية والإسلامية ، وحازت مصر قصب السبق - ولكن فى الشر - فظهر فى القاهرة سلمان رشدى جديد ، أحد المغمورين اسمه علاء حامد ، فى رواية تحت عنوان : « مسافة فى عقل رجل » .

وحين عهدت إلىَّ « دار الفضيلة » كتابة تقديم لكتاب الشاب الأستاذ - أحمد أبو زيد - محاكمة سلمان رشدى المصرى - تبادر إلى ذهنى قصة مضى عليها زهاء أربعين عاماً ، كنت أقدم الكتب الجديدة فى مجلة الدعوة التى كان يصدرها الأستاذ صالح عشماوى - رحمه الله - وذات يوم أهدى إلى « كتاب » صغير من تأليف أستاذ جامعى ، وقال لى بالحرف الواحد : « أريدك أن تكتب عن كتابى ولو تتهمنى بالإلحاد » - أى وربى ! - وما شككت لحظة فى أن بالأستاذ خللاً عقلياً ، وليس مجرد إنسان يستعجل الشهرة !!

لقد أحَسَن الصحفى الشاب الأستاذ أحمد أبو زيد ، حين اختار لكتابه عنوان : محاكمة سلمان رشدى المصرى - علاء حامد - وكان صادقاً مع نفسه حين اعتبر نفسه مُعِدًّا وليس مؤلفاً ، والإعداد مُهِمَّة شاقة لا يقل

شأناً عن التأليف فى بعض الأحايين ، التأليف جهد ذهنى بينما الإعداد جهدان : ذهنى ومادى معاً ، ويبدو هذا واضحاً لمن يقرأ الكتاب الذى ضم بين دفتيه مجموعة من الوثائق التى هى على جانب كبير من الأهمية .

والكتاب ليس قاصراً على تقديم الوثائق المتصلة بموضوع الكتاب ، لقد جاء الفصل الأول منه يتناول المخطط العُدْوَانى الرهيب على الإسلام ونبى الإسلام ، الذى بدأ ولم يتوقف بعد ، ثم كان الفصل الثانى ليقدم لنا بحثين مهمين عن حرية العقيدة ، وحرية الفكر والرأى ، وبالبحثين معاً مسحة من الفقه الإسلامى وآراء بعض فقهاء المسلمين ، ثم جاء الفصل الثالث ليعرض لنا محاكمة المؤلف من البداية حتى النهاية ، أما الفصل الرابع والأخير ، فعن رواية المؤلف وهى فى قفص الاتهام ، وقد تضمن خمسة مباحث : تقرير الأزهر ، وقد كُلِّفَ به لجنة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، ورد المؤلف على تقرير الأزهر ، ثم رد عالم أزهرى على تقرير الأزهر مشايعة ومساندة للمؤلف ، ثم شهادة أدبية تدين المؤلف والرواية ، وأخيراً محاولة هيئة الدفاع عن المؤلف من العلمانيين والماركسيين وغيرهم .

وأقول : كان من فضل الله أن يرد المؤلف ليكشف عن ضآلة فكره وضحالة رأيه ، وجاء رد الدكتور الأزهرى على مثاله ، وأضاف اعتبار دفاعه عن المؤلف تصفية حساب مع الأزهر الذى عزله عن التدريس ، ولا أعتقد إلا أن شهادة الدكتور العلمانى والدكتورة التى لا لون ولا مذاق لما تكتب ، وقد تطوع الاثنان بها أمام المحكمة ، لوناً من العبث والغوغائية والتهريج .

ثم ماذا ؟

إن هناك جرذاناً بشرية مريضة بالوهم المُرَكَّز ، لا تجد وسيلة لكى تصعد على السطح سوى وسيلة العبث الفكرى بلا علم أو فقه ، وترى أن هذه الوسيلة هى أقرب السبل وأيسرها ، ولو أن هذه الجرذان اتخذت من الفكر السياسى مادة لعبثها الفكرى أو للهوها الصبيانى لتركناها وشأنها ، أما أن تتخذ من ديننا وعقيدتنا مادة للعبث والسخرية ، فإن التصدى لهذه الجرذان البشرية يصبح فرض كفاية على المسلمين إذا قام به البعض سقط الوزر عن الاخرين وإلا أثم الجميع .

والذين يريدون منا أن ندفن رءوسنا فى الرمال كالنعام ، كلما عن لمريض بالوهم ويحب الشهرة أن يخوض فى ديننا ، ويتخوض فى عقيدتنا ما شاء له أن يخوض أو يتخوض - هؤلاء يعرفون الحق ثم يتجاهلونه ، والذين يعتبرون العبث الفكرى من قبيل حرية الرأى التى كفلها الدستور ،

هؤلاء يعزفون على ناى من الضلالة ..

إن مؤلف رواية « مسافة فى عقل رجل » يعترف بأن سبق له نشر عدة كتب ، وَأسْهَمَ فى بعض برامج الإذاعة والتلفاز ، ولم يعترف - بالطبع - بأنه لم ينل نصيباً يذكر من الشهرة التى يسعى إليها ، ويلح عليها ، وحتى روايته الأخيرة لم يحس بها أحد .. لا من القراء ولا من النقاد ، وكان من الممكن أن تظل مغمورة لولا ما كتبه الأستاذ أحمد بهجت فى مقاله اليومى : « صندوق الدنيا » بجريدة الأهرام ، وما كان لمثل الأستاذ أحمد بهجت أن يسكت عن منكر .. أما الحُثَالة من كُتَّاب السُّلْطَة أو من إخوان ماركس ، أو من المصابين بعمى الألوان .. هذه الحثالة التى تتهمنا بالتعصب والتطرف والتَّزَمُّتِ لأننا ندافع عن ديننا ، بينما المتهجمون على إسلامنا من الصبية والمرضى عيوناً وقلوباً معاً ، هم فى نظرهم أصحاب رأى وأحرار فكر .. فهم عندنا لا يساوون التراب الذى نطأه بنعالنا - ولا أكياس القمامة التى تتقزز منها أبصارنا .

والشىء بالشىء يذكر :

فى أيام الإمام ابن حزم الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى وتوفى سنة ٤٥٦ هـ كتب ابن النغريلة اليهودى كتاباً عن « المتناقضات فى القرآن » وقد نقضه ابن حزم فى خطبة جامعة ، وثارت الجماهير المسلمة على ذلك « الخنزير » اليهودى ، فلاذ بالفرار واندفع إلى تنور متقد دون أن يحس ليلقى نهايته .. ونحن لا نملك إلا أقلامنا وألسنتنا على خوف واستحياء ، عندما ندافع عن ديننا ، وكأنه ليس من حقنا إلا أن نبتسم لكل من هَبَّ وَدَبَّ من الصبية الذين يتوهمون أنهم حملة أقلام وفكر بمقولة - حرية الرأى .

لقد أصبح الكَيْل بكيْلين قاعدة فى حياتنا كجزء لا يتجزأ من كتلة العالم الثالث .. قاعدة لا استثناء فيها . رغم أن لكل قاعدة استثناء وهذا قدرنا ، ومن هذا المنطلق أسأل :

أولاً - أهل اليسار الذين لم يعودوا يمثلون إلا رُكاماً مَمْجُوجاً ، لو أن رواية الكاتب كانت تَمُسُّ من قريب أو بعيد أصنامكم ، أكنتم ترحبون بالكاتب باعتباره صاحب رأى ؛ لا أعتقد ذلك ، إن أقل ما كنتم تصفونه به ، العمالة للإمبريالية .

ثانياً - كُتَّاب السُّلطة الذين دافعوا عن المؤلف بحرارة في أى بلد عربى : لو أن رواية المؤلف كانت تمس شخصية الرئيس - أى رئيس - أكان فى مقدوركم أن تدافعوا عنه وعن حرية رأيه ؟ لا أعتقد ذلك ، إن أقل ما كنتم تتهمونه به التطرف أو العمالة لحساب إيران .

أمّا أن يكون الإسلام هو المستهدف عقيدة وشريعة ونظاماً ، فالأمر أهون من أن يَلْفِتَ النَّظر ، وأما أن نقلب الحقائق رأساً على عقب ، ويحاصر الإسلام فى دياره حصاراً شرساً ، وتجد الأنظمة الشمولية والبوليسية من يصفق لها ويهتف ، وَيُسَبِّحُ بحمدها ويقدس .. فالأمر أهون من أن يشد انتباه الأدعياء الذين يتشدقون بمقولة حرية الرأى .

وأخيراً - وليس آخراً : لقد كان أعداء الإسلام وخصومه ، مستشرقين كانوا أم مبشرين - لا يستهدفون - وحسب - النيل من الإسلام ، بل أيضاً إشغال المسلمين بالرد عليهم ، لكى نظل دائماً - وإلى الأبد - فى مرحلة الدّفاع لا نتجاوزها إلى مرحلة الزحف ، وإذا كانت وطأة الاستشراق والتبشير قد خفت حدتها فى السنوات الأخيرة ، فليس مرجع ذلك إلى إحساسهم ببوار سلعتهم - وحسب - بل أيضاً لأنهم رأوا من المنتمين إلى الإسلام - بحكم شهادات المواليد - من ينوب عنهم ، من أمثال سلمان رشدى الهندى ، وسلمان رشدى المصرى ، وغيرهما من هواة الشهرة ، على حساب الإسلام الذى أصبح أعزلاً غريباً فى دياره .

والله وحده حسبنا ؛

محمد عبد الله السمان

القاهرة ص . ب ١٦٢١

ت : ٩٨٤٢٠١

مقدمة المؤلف

محاكمة علاء حامد على روايته « مسافة فى عقل رجل » محاكمة من نوع فريد فهى ليستْ محاكمة مجرم قاتل أو سارق أو ناهب أو مُخْتَلِس ولكن محاكمة رجل تعدى كل هذه الجرائم إلى الطعن فى الذَّات الإلهية والتهجم على الأديان وَسَبِّ الرُّسُلَ والأنبياء ، وإنكار مُسَلَّمَاتِ العقيدة من ثواب وعقاب وجنة ونار .

والحقيقة إن هذه الرواية التى أدانها الأزهر الشريف وقضت محكمة أمن الدولة بسجن كاتبها ثمانى سنوات ليست الأولى من نوعها ولكنها حَلْقَةٌ ضمن مُخَطَّطٍ وُضِعَ بإحكام لاستغلال الأدب - بعد غيره من الوسائل فى مهاجمة الإسلام وتشكيك النَّاس فى أمور العقيدة وهو مخطط واسع النطاق تقف من ورائه قوى أجنبية معادية للإسلام اتفقت جميعها على تحقيق هدف واحد هو محاربة هذا الدين وإبعاد أهله عنه حتى يظلوا ضعفاء متفرقين لا تجمعهم كلمة ولا يُوَحِّدُهُم صَفٌ .

ولقد سبق علاء حامد فى هذا المضمار من وقعوا فى شراك هذا المخطط اللعين كل من : نجيب محفوظ بروايته « أولاد حارتنا » التى كانت ضمن أسباب حصوله على جائزة نوبل فى الأدب ثم سلمان رشدى بروايته « آيات شيطانية » التى أثارت جدلاً كبيرًا على مستوى العالم الإسلامى عام ١٩٨٩ م

وهذه الروايات الثلاث جاءت ضمن مخطط واحد والمحزن فيها حقاً أنها كُتِبَت بأيدى أشخاص ينتمون إلى الإسلام فسلمان رشدى مسلم هندى الأصل وكل من نجيب محفوظ وعلاء حامد مسلمان مصريان ، وعندما يأتى الطعن فى الإسلام والتشكيك فى أصوله من أهله وَمِمَّن ينتمون إليه تكون الطَّامَّة الكبرى وتكون الخطورة الشديدة ويكون الدليل القاطع على هذا الاختراق الذى تتعرض له الأمة الإسلامية ، الذى جعل أفرادًا من أهلها يُسَمُّوْنَ بأسماء إسلامية يعملون لصالح أعداء الإسلام من صليبيين وصهاينة وشيوعيين ويُسَخِّرون أقلامهم وفكرهم لخدمة مُخَطَّطٍ يسعى لهدم دينهم وَسَبِّ نبيهم محمد ﷺ .

ومحاكمة علاء حامد أو (سلمان رشدى المصرى) كما أطلقت عليه الصحف المصرية والعربية من المحاكمات المشهورة التى ثار حولها جدل كبير بين التيارات الفكرية فى مصر والعالم العربى ، وهذا ما دَفَعنى إلى تسجيل هذه المحاكمة والمناقشات التى دارت حولها فى هذا الكتاب حتى تتضح

الخصائص أمام القارىء المسلم حتى لا ينخدع بما يردده العلمانيون والشيوعيون فى مصر من شعارات ونعرات تحت دعوى حرية الفكر والرأى والعَقيدة .

وقد قَسَّمْتُ هذا الكتاب إلى أربعة فصول رئيسية فضلاً عن المقدمة والتمهيد فخصصت الفصل الأول : للحديث عن مُخَطَّطِ الهجوم على الأديان قديماً وحديثاً والقوى الواقعة خلفه وفَصَّلْتُ ذلك فى عِدَّة مباحث .

وفى الفصل الثانى : تحدثت عن حرية العقيدة وحرية الفكر والرأى من خلال المفاهيم الصحيحة لهذه القضايا وضمانات هذه الحريات وضوابطها وحدودها .

وفى الفصل الثالث : استعرضت محاكمة علاء حامد على روايته من البداية إلى النهاية وذلك من خلال ما نشرته الصحف المصرية والعربية عليها .

أما الفصل الرابع والأخير فقد خَصَّصْتُهُ للحديث عن الرواية من خلال عرض تقرير الأزهر عنها ورد المؤلف على هذا التقرير ورد الدكتور أحمد صبحى منصور على نفس التقرير وتقديرنا لهذه الردود واستعراض بعض الشهادات الأدبية التى أدانت المؤلف ، ومن دافعوا عنه من العلمانيين والشيوعيين .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل ؛

أحمد أبو زيد

المشرف على صفحة وإسلاماه بجريدة الحقيقة

تمهيـــــد

التآمر على الإسلام ومحاولة النيل منه والتشكيك فى أصوله والعيب فى رسوله محمد - ﷺ - مُخَطَّطٌ قديم بدأ منذ مطلع الرسالة مُمَثَّلاً فى أهل الكفر والإلحاد الذين وقفوا فى وجه الإسلام وقاوموا دعوته وَسَفَّهُوا رسوله ورموه مرة بالجنون وأخرى بالكهانة وحاولوا صَدَّهُ عن الحق بكافة الطرق والوسائل .

ولقد استمر هذا المخطط طوال العصور الإسلامية السابقة وإن اختلفت مصادره وتنوعت أشكاله حتى وصلنا إلى عصرنا هذا الذى حدث فيه الانفصال بين الإسلام كعقيدة وشريعة وبين حياة المسلمين ومن هنا اشتد هذا المخطط الآثم نتيجة غفلة أهل الحق عن حقهم وكثرت السهام المحيطة بالإسلام التى تسعى إلى النيل منه ، وهى سهام نشطة ومتجددة ومتطورة وَمُدَعَّمَةٌ بالإمكانيات الضخمة .

وأصحاب هذه السِّهَام جميعاً وإن اختلفت جنسيَّاتهم وهويتهم وأفكارهم وعقائدهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأن يثيروا الشبهات حول الإسلام وحول رسوله ويكيلوا له الاتهامات بل ويثيروا الشبهات حول جميع العقائد السماوية وحول أنبياء الله ورسله وكتبه .

ولقد اجتمعوا حول هذا الهدف فالكفر ملة واحدة ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** ﴾[1]، وَوَجَّهُوا كل سهامهم إليه وَكَرَّسُوا كل طاقاتهم وإمكاناتهم لتحقيقه وساعدهم على ذلك ضعف أسلحة الحق فى العصر الحالى وغفلة أهله عنه ، وهذه سُنَّة كونية فالباطل لا يقوى ويشتد ساعده فى الأرض إلَّا إذا ضَعُفَ الحق وغفل أهله وَقَلَّت أسلحته ومناصروه .

والحقيقة إن هذا المخطط المعادى للإسلام الرَّاغب فى تدميره وإبادة أهله تقف من خلفه اليوم قوى عالمية ضخمة كالصليبية بدولها والشيوعية والصهيونية وما يتفرع عن هذه القوى من خِرَقٍ ومذاهب كالماسونية والبهائية والقاديانية

---

(١) الأنفال/ ٧٣ .

والتنصير . فبعد فشل الحروب الصليبية الأولى - التى استمرت قرنين كاملين - فى القضاء على الإسلام قاموا بدراسة واعية لكيفية القضاء على هذا الدين وبدءوا منذ قرنين فى تنفيذ مخططاتهم وكانت خطواتهم كما سَجَّلَهَا الأستاذ جلال العالم فى كتابه « قادة الغرب يقولون : دَمِّرُوا الإسلام أَبيدوا أَهْلَهُ » تتركز فيما يلى[1]:

أولاً : القضاء على الحكم الإسلامى : وذلك بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة فى الدولة العثمانية وكانت فرصتهم الذهبية التى مَهَّدُوا لها طوال قرن ونصف هى سقوط تركيا مع حليفتها ألمانيا خاسرة فى الحرب العالمية الأولى حيث دخلت جيوش الحلفاء أراضى الدولة العثمانية وسيطرت على معظم أراضيها ومنها العاصمة إستانبول وعندما بدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت إنجلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية :

أ - **إلغاء الخلافة الإسلامية وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .**

ب - **أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .**

جـ - **أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .**

د - **أن تختار لنفسها دستورًا مدنياً بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الإسلام .**

وقد نفذ **كمال أتاتورك** الشروط السابقة وانسحبت الدول المحتلة من تركيا .

ولما وقف « **كرزون** » وزير خارجية إنجلترا فى مجلس العموم البريطانى يستعرض ما جرى مع تركيا احتج بعض النواب الإنجليز بعنف على كرزون واستغربوا كيف اعترفت إنجلترا باستقلال تركيا التى يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب ، فأجاب كرزون : لقد قضينا على تركيا التى لن تقوم لها قائمة بعد اليوم . لأننا قضينا على قوتها المتمثلة فى أمرين : الإسلام والخلافة .

---

(١) د/ عبد الحى الفرماوى - المسلمون بين الأزمة والنهضة .

فصفق النواب الإنجليز كلهم وسكتت المعارضة

ثانياً : القضاء على القرآن ومحوه : لأنهم يعتبرون القرآن هو المصدر الأساسي لقوة المسلمين وبقاؤه بين أيديهم حَيًّاً يؤدى إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم .

يقول جلادستون : « مادام هذا القرآن موجودًا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هى نفسها فى أمان »، ويقول المبشر «وليم جيفورد بالكراف » : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمد وكتابه » .

ويقول المبشر تاكلى : « يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح فى الإسلام ضد الإسلام نفسه وحتى نقضى عليه تمامًا يجب أن نُبين للمسلمين أن الصحيح فى القرآن ليس جديدًا وأن الجديد فيه ليس صحيحاً » .

ثالثاً : تدمير أخلاق المسلمين وعقولهم وصلتهم بالله وإطلاق شهواتهم .. وفى هذا الصدد يقول « صموئيل زويمر » فى كتاب « **الغارة على العالم الإسلامى** » : « إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين : مزية هدم ومزية بناء ، أما الهدم فنعنى به انتزاع المسلم من دينه ولو بدفعه إلى الإلحاد ، وأما البناء فنعنى به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه » .

رابعاً : القضاء على وحدة المسلمين : يقول المبشر لورنس براون : « إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير ويجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير » .

ويقول « أرنولد توينبى » فى كتابه « الإسلام والغرب والمستقبل » : « إن الوحدة الإسلامية نائمة ولكن يجب أن نضع فى حسابنا أن النائم قد يستيقظ » .

خامساً : تشكيك المسلمين فى دينهم : وذلك بالطعن فيه والتشكيك فى مبادئه والغمز بنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – .

سادساً : إبقاء العرب ضعفاء : فالغربيون يعتقدون أن العرب هم مفتاح الأمة الإسلامية وقوة العرب تعنى قوة الإسلام وتدمير العرب يعنى تدمير الإسلام .

سابعاً : إنشاء ديكتاتوريات سياسية فى العالم الإسلامى : يقول المستشرق و . ك سميث الأمريكى : « إذا أُعْطِىَ المسلمون الحرية فى العالم الإسلامى وعاشوا فى ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام ينتصر فى هذه البلاد وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها » .. وينصح رئيس تحرير مجلة « تايم » فى كتابه « سفر آسيا » الحكومة الأمريكية أن تنشىء فى البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية وبالتالى الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره .

ثامناً : إبعاد المسلمين عن تحصيل القوة الصناعية .. ومحاولة إبقائهم مستهلكين لسلع الغرب .

تاسعاً : إفساد المرأة وإشاعة الإنحراف الجنسى : وهم يعنون بذلك أنه بإخراج المرأة المسلمة عن دينها يخرج جميع الجيل الذى تربيه ويخرج معها زوجها وأخوها أيضاً وتصبح أداة تدمير قوية لجميع قيم المجتمع الإسلامى الذى يحاولون تدميره وإلغاء دوره الحضارى فى العالم .



الفصل الأول

الهجوم على الإسلام قديماً وحديثاً



الهجوم على الإسلام قديمًا وحديثًا

تعددت فى هذا العصر القُوَى المعادية للإسلام ما بين صليبية ، وشيوعية ، وصهيونية ، وهندوكية ، وبوذية ، وهذه القوى تقف من الإسلام وأهله موقف المحارب حربًا خفية ومُعْلَنة تمتد لتصل إلى كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية ، وفى كل بقاع الأرض سواء بين الأقليات المسلمة فى الخارج أو بين الأكثريات فى الداخل .

وهم فى حربهم هذه أقوياء ولديهم الإمكانات الضخمة التى يُسَخِّرُونها لتحقيق أهدافهم المتمثلة فى تشويه صورة الإسلام وإضعاف المسلمين وَكَسْرِ شوكتهم وتحويلهم إلى مجموعات لا هوية لها ولا تأثير ولا وزن .

وهذا العداء للإسلام وأهله لم يأت من فراغ ولم يأت بشكل غير مُنَظَّمٍ ولكن تم التخطيط والتنظيم له بدقة متناهية فقد أحسوا بقوة الإسلام وخطره عليهم وعلى حضارتهم المادية الزائفة وبأنه دين زاحف ممتد ينتشر بسرعة البرق إذا ما قوى أهله وأصبح بيدهم مقاليد الأمور ولذلك أعلنوا العداء له وَخَطَّطُوا لحربه وهذا ليس بجديد فعداؤهم للإسلام قديم وقد أخبرنا به الحق سبحانه فى كتابه حيث يقول : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يَرُدُّوكُم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾[2]. فالصراع بين الحق والباطل صراع دائم مستمر منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة ، وأسلحة الباطل لا تقوى ولا تشتد إلا إذا غاب الحق وأهله عن الساحة .

ومسلسل الهجوم على الإسلام ومحاولات النيل منه كذباً وافتراء والدَّسِّ فى أحكامه والعيب فى رسوله محمد - ﷺ - مسلسل قديم بدأ منذ نزل القرآن فى مكة وَكَلَّفَ الحق سبحانه نبيه بحمل الرسالة وتبليغها للعالمين حيث

---

(١) البقرة/ ١٢٠ . (٢) البقرة/ ٢١٧ .

اعترض دعوته كفار مكة وَسَفَّهُوا ما يقول وَرَمَوْه مَرَّة بقول الشعر وأخرى بالسحر والكهانة وثالثة بالجنون وَكَيَّلُوا له السباب والشتائم وكانوا يقولون عنه « مذمماً » بدلاً من « محمدًا » .

وجاء ملحد من بينهم هو النضر بن الحارث فادَّعى أنه سينزل مثل ما أنزل الله على محمد ﷺ .

ومع انتصار الدولة الإسلامية وفتح بلادٍ للإسلام بدأ الاختلاط بالنصارى والمجوس والجنسيات المختلفة فى الشام ومصر وفارس وكل هذه الجنسيات كانت تلجأ إلى سَبِّ الرسول – ﷺ – وشتمه وتأليف جمعيات لهذا الغرض مثل إخوان الصفا ، والماسونية[1].

وقد استمر هذا المسلسل وزاد أكثر بعد أن دخل المسلمون الأندلس وحدث الاحتكاك بين علماء الإسلام والمسيحيين حيث أَلَّفَ النصارى كتباً وقصائد شعر فى سَبِّ الرسول – ﷺ – ومع الحريات التى توفرت فى الدولة الإسلامية بدأ المسيحيون واليهود يكتبون فى الطعن فى الإسلام وكان هذا نوعًا من التعويض والحرب الدعائية بالنسبة لهم ، وقد زاد هذا الطعن فى الإسلام وسَبِّ رسوله – ﷺ – فى الحروب الصليبية فالكنيسة فى أوربا قامت بتأليف كتب كثيرة فى هذا الغرض ولحق بذلك حركة الاستشراق التى بدأت تأخذ مناحى مختلفة كالاهتمام بالتاريخ والأدب والشريعة وقد ظهر من بين المستشرقين من أنصف الإسلام وأهله ومنهم من دخله بالفعل بعد أن تعمق فى معرفته .

وعندما ظهرت الصحوة الإسلامية – كما يقول الدكتور **أحمد عبد الرحمن** أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعات المصرية – بدأت تتجدد مَرَّة أخرى محاولات السَّبِّ فى الإسلام والنَّيل منه لأن الحضارة الأوربية بدأت تنهار ولم تعد هناك استراتيجية صالحة إلا الإسلام .

وهذه المحاولات الجديدة بدأت تأخذ أشكالاً أخرى فقبل ذلك كان هناك الكتب والأشعار أما الآن فقد جاءت الروايات الأدبية ، والجديد فى هذا

---

(١) الماسونية ليس كما يظن بعض الناس من أنها مذهب فكرى حديث مضاد للإسلام ولكن جذوره قديمة منذ عبد الله بن سبأ وإخوان الصفا وغيرهم وما زال حياً إلى الآن .

الإسفاف أنهم بدءوا يجددون فيه بعد أن أحسوا بضعف الأمة الإسلامية وتمزقها وقد ازداد نشاطهم – كما ذكرنا – مع ظهور الصحوة الإسلامية وسعيها إلى تحقيق نوع من التوحد فى العالم الإسلامى حيث يحاولون تشكيك الناس فى هذا الدين وإضعاف سيطرته فى النفوس وكلما ازدادت الصحوة الإسلامية اشتد مسلسل الهجوم على الإسلام وهم يخططون لذلك فكتاب **سلمان رشدى** « **آيات شيطانية** » لم يُكْتَبْ عفوًا ولكن بتخطيط من **المخابرات الأمريكية ومجلس الكنائس العالمى** وهو يمثل حلقة واحدة فى مسلسل حربهم للإسلام .

وسوف يتضح لنا خلال هذا الفصل كيف أن الهجوم على الإسلام والعيب فى رسوله والتشكيك فى أحكامه مخطط واسع النطاق تشترك فيه قوى متعددة تتفق جميعها فى هدف واحد هو القضاء على الإسلام وإضعاف أهله والفصل بينهم وبينه .

وسوف نقسم هذا الفصل إلى عدة مباحث على النحو التالى :

المبحث الأول : الهجوم على الإسلام مخطط استعمارى صليبى .

المبحث الثانى : الهجوم على الإسلام مخطط صهيونى .

المبحث الثالث : الهجوم على الإسلام مخطط شيوعى .

المبحث الرابع : الهجوم على الإسلام هدف تغريبى .

المبحث الخامس : حكم سب الرسول – ﷺ – وغيره من الرسل والأنبياء .



المبحث الأول

الهجوم على الإسلام مخطط استعمارى صليبى

عداء الصليبية للإسلام وأهله معروف للجميع فقد أسفر عن وجهه القبيح علانية منذ جاءت الحروب الصليبية واستولت على الشرق الإسلامى لعدة قرون ، ومن بعدها الاستعمار الغربى الصليبى الذى احتل البلاد الإسلامية وسيطر على مقاليد الأمور فيها ونهب ثرواتها وأكل خيراتها . وأدرك الصليبيون قوة الإسلام الحقيقية وأنه سر تقدم المسلمين وَرُقِيِّهم فى العصور السابقة فَسَعَوا إلى حرب هذا الدين فى نفوس أهله ووضعوا مخططهم لتحقيق هذا الغرض وقد قام هذا المخطط على مجموعة من الخطط الفرعية منها : إضعاف سلطان الإسلام فى نفوس المسلمين من خلال السخرية بعلماء الدين وتصويرهم بصور الجهلاء الجامدين تارة ، والمنافقين المستغلين لسلطان وظائفهم ونفوذهم تارة أخرى ، وبث الإشاعات ونشر الاتهامات المختلفة حولهم لتقليص نفوذهم وسيطرتهم على نفوس المسلمين .

ومن هذه الخطط أيضاً : تشويه حقائق الإسلام ووضعه فى قفص الاتهام والتركيز على القرآن الكريم وتوجيه الهجوم عليه وترجمته لغرض محاربته ، ونشر الكتب المفسدة العابثة المضللة التى تشغل الشباب عن ثقافتهم الأصيلة وتلهيهم بالعبث والخيال الماجن .

هذا إلى جانب تشويه **التاريخ الإسلامى** والتشكيك فى حوادثه وإبراز الجوانب الضعيفة أو المؤسفة فيه وإنشاء المذاهب الهَدَّامة كالماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها وإشغال المسلمين بها وإخراجهم من دينهم بواسطتها .

ولقد عقد مؤتمر أوربى كبير عام ١٩٠٧ م ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذى قال فى خطاب الافتتاح : « إن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء والواجب يقضى علينا أن نبحث فى هذا المؤتمر عن وسيلة فَعَّالَةٍ تحول دون انهيار حضارتنا » .

واستمر المؤتمر شهرًا من الدراسات والنقاش واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التى يمكن أن تقضى على الحضارة الغربية الآفلة فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربا ، فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضى ببذل الجهود لمنع إيجاد أى اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا ، وأخيرًا قرَّرُوا إنشاء قومية غربية يهودية معادية للعرب والمسلمين شرق قناة السويس ليبقى المسلمون متفرقين وبذلك أرست بريطانيا الصليبية أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية وقامت بذلك « دولة إسرائيل »[1].

وبعد ضرب **الوحدة الإسلامية** تسعى الصليبية بالتعاون مع القوى المعادية الأخرى لإبعاد المسلمين عن دينهم وقطع صلتهم به بشتى الوسائل ليتحللوا من نظام الإسلام ويسيروا فى الإلحاد والإباحية وقد لجئوا لتحقيق هذا الهدف إلى مجموعة من الوسائل منها :

١ - محاربة القرآن الكريم وتشويه أحكامه :

فالصليبية تعتبر القرآن المصدر الأساسى لقوة المسلمين وعودتهم إلى سالف عزهم لذا وَجَّهَت إليه سهامها وجعلته الهدف الأول لهجماتها .

ولقد تعرض القرآن الكريم منذ أقدم العصور لمطاعن ومفتريات واتهامات وتزوير وأكاذيب تحمل معها حُجَجَ النِّفَاق والكفر لأصحابها ، وقد قصد هؤلاء الكافرون والمنافقون فى خصومتهم لكتاب الله وإثارة هذه الأمور حوله أن يشككوا فى صحته ، وفى إعجازه ، وفى إنزاله عن الله سبحانه . إذ زعموا أنه كتاب محمد - ﷺ - وأنه هو الذى ألَّفه وأملاه له خياله الخصب أو أنه أملاه عليه رجل كان الرسول - ﷺ - يصاحبه ويأليته عربى بل هو عجمى وهذا لسان عربى مبين .

قال تعالى : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنَّمَا يُعَلِّمُهُ بشر لسان الذى يُلْحِدُون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين * إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم** ﴾[2].

(١) محمد محمود الصواف - المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام .

(٢) النحل/ ١٠٣ ، ١٠٤ .

ولقد استمرت الحملات والمطاعن تنتقل من جيل إلى جيل ومن ميدان إلى ميدان حتى جاء الاستشراق والمستشرقون والتنصير والمنصرون والاستعمار وإذا بالنغمة تتكرر وإذا بالسيوف تُشهر وإذا بالمطاعن تنشر فتارة : يتهمون القرآن بالتناقض ، وتارة : باللحن ، وأخرى : بفساد النظم ، ورابعة : بإنكار الإعجاز ، وخامسة : أنه من صنع النبى إلى ما شاء لهم الحقد والهوى من ألوان التهم حتى لم يتركوا عيباً إلا ونسبوه إلى القرآن وألصقوه به وقد استوى فى ذلك القدماء والمحدثون الشرقيون والغربيون فيقول المستشرق « جولد تسيهر » : « ومن العسير أن تستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقيديًا مُوَحَّدًا متجانساً خالياً من المتناقضات ، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطرًا إلا آثار عامة نجد فيها أحياناً تعاليم متناقضة »[1].

● ترجمة القرآن لإثارة الشكوك حوله :

ولقد لجأ الصليبيون فى كفاحهم للإسلام والقرآن للدعوة إلى ترجمة القرآن ليسهل عليهم إثارة الجدل حوله ونقده ووضع الشكوك فى أحكامه ففى سنة ١١٢٢ م قام الراهب بطرس الغنرايلى رئيس دير كولونيا بفرنسا بالدعوة إلى ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية حتى يسهل على رجال الدين المسيحى هناك مناقشته والطعن فيه ، وقد قام بهذه الترجمة راهبان من رهبانهم هما روبرت وهرمان وأتما الترجمة عام ١١٤٣ م وظلت هذه الترجمة مخطوطة فى عِدَّةِ نسخ تتداولها الأديرة إلى أن تم طبعها فى مدينة بال بسويسرا عام ١٥٤٣ م أى بعد أربعمائة سنة .

٢ - الطعن فى الرسول - ﷺ - وتشويه سيرته :

فالمستشرقون والمنصرون يسعون بكل قواهم لتشويه صورة الرسول - ﷺ - والطعن فى سيرته ودعوته فهم يزعمون أن الرسول - ﷺ - بدأ دعوته كرسول ومصلح ولم يكن يخطر بباله أن يكون قائدًا أو مؤسسًا لدولة حتى هاجر إلى المدينة فبدأت تجول بذهنه وخاطره فكرة إنشاء دولة ويستدلون

---

(١) المرجع السابق .

على هذا الإفك بأنه – ﷺ – كان فى مكة مسالماً لا يقاوم أعدائه بحرب ولا قتال ولكنه فى المدينة خاض مع أعدائه المعارك الدامية .

ويزعم هؤلاء المستشرقون المتعصبون وغيرهم من قسيسين ورهبان كنائس أن النبى – ﷺ – كان يميل إلى النساء لذلك سمح لأتباعه بتعدد الزوجات وتوفى هو عن تسع زوجات .

وإلى جانب هذا لجئوا إلى الدَّسِّ فى السُّنَّة النبوية المطهرة والتشكيك فيها من نواحٍ متعددة ظانين أنهم بذلك يهدمون أهم صرح فى البنيان الإسلامى العتيد[(١)].

٣ – تشويه حقائق الإسلام ووضعه موضع التهم :

فشر ما مُنِيَت به حملات التحامل على الإسلام من قبل الصليبية الكافرة هو اتهامه بالباطل وتشويه حقائقه الناصعة المشرقة ووضعه موضع التهم وكان ذلك فى اتفاق مُبَيَّتٍ وتدبير محكم بين المستشرقين والمُتَنَصِّرِين وهم رسل المستعمرين وكأنهم جميعاً أمام متهم لابد أن يدينوه وأن يُلصقوا به التهم الكاذبة مع براءته وسلامته من كل عيب ونقص ، وتلك النية المبيتة فى الحكم تفضى دائماً إلى نتائج تكاد تكون واحدة ومتشابهة حتى لقد أصبحت التهم والأباطيل معروفة ومكررة لكثرة ما توارد منها .

وهكذا يستمر الخصام ويستمر الاتهام للإسلام قديماً وحديثاً ولا يخجل هؤلاء المستشرقون أو أكثرهم على الأصح بعد أن ظهرت أكاذيبهم واندحرت افتراءاتهم وباءت مؤامراتهم بالخيبة والفشل وبقى الإسلام وسيبقى بحفظ الله له كالطود الشامخ .

وإذا أردنا أن نذكر بعض الصور والنماذج من هذه الاتهامات الظالمة التى يوجهها خصوم الإسلام للإسلام نجد أنها كلها مسائل ليست محلاً للتهم ومن هذه المسائل .. مسألة الرق : والحقيقة التى لا يعرفها هؤلاء أن الإسلام لم يُشَرِّع الرِّقَّ بل شَرَّعَ العتق بعد أن كان الرق موجودًا ومشروعًا قبل

---

(١) المرجع السابق .

الإسلام ، والإسلام هو الذى كافح الرق ووضع المخطط الذى يكفل الحرية لجميع الأرقاء فى المستقبل[1].

وقد قاموا بتشويه عقيدة القضاء والقدر وَبَدَّلُوا فيها وقالوا زورًا وبهتانًا إن سِرَّ انحطاط المسلمين كما يبدو اليوم ناشىء عن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ، وإن كل ما يفعله العبد مُقَدَّرٌ من الأزل لا سبيل لدفعه ثم قالوا : وكذلك ترى المسلم كسولاً جاهلاً خاملاً اعتقادًا منه بأنه لا فائدة من العمل مادام كل شىء بقضاء الله وقدره

ومن المؤسف – كما يقول الشيخ محمد محمود الصواف فى كتابه : « **المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام** » – أن هذا الدس الرخيص والبهتان الظاهر وجد سبيله إلى أذهان بعض الكاتبين من المنتسبين للإسلام الذين يزعمون أنهم يبحثون عن عِلَلِ المجتمع الإسلامى ولقد خابوا وخسروا إذ لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث فى هذه الدعوى التى قالها أعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين ولو أنهم رجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله لوجدوا رائحة الكذب والجهل تفوح من هذه الفرية الظالمة على الإسلام ، إن عقيدة المسلمين اليوم بالقضاء والقدر لا تبلغ عشر معشار ما بلغته عند أسلافهم وبناة تاريخهم ومجدهم الخالد بل إن البطولات التى سجلها الآباء فى فتوحاتهم وانتصاراتهم المذهلة التى أدهشت العالم ليس لها سبب إلا أنهم فهموا القضاء والقدر على حقيقته وكان هذا الفهم وهذا التوكل الصحيح هو سر عظمتهم وانتصاراتهم الرائعة ، فقد فهموا القضاء والقدر على أنه لا يقدم أجلاً ولا يؤخر رِزْقاً فجاهدوا فى الله حق جهاده وقالوا كلمة الحق حيث يجب أن تُقَال ، وفهموه على أنه عمل لا كسل ، وقوة لا ضعف فيها ، وحافز دافع لا تثبيط فيه ، وسعى متواصل لا خمول فيه .

وبعد تشويههم لعقيدة القضاء والقدر قاموا بالطعن فى الإسلام من جهة أخرى وهى تشويه معنى الجزية واعتبارها دليلاً على الظلم والقهر والاضطهاد ، وقد أنكروا فضل الإسلام فى الجزية إذ ترك أهل الكتاب أحرارًا فى دينهم وإقامة

---

(١) المرجع السابق .

شعائرهم وعفاهم من المشاركة فى القتال ونظم الجزية تنظيماً حكيماً وجعلها جزءًا من نظام التكافل الاجتماعى .

وقد نسى هؤلاء أن الجزية كانت نظامًا سائدًا فى العالم كله يدفعه المغلوب للغالب ولم يكن فيه من معانى الإنسانية شيء يذكر بل كان عنوان الإذلال والقهر ووسيلة لابتزاز أموال المغلوبين فجاء الإسلام العظيم ونقل الجزية إلى معنى إنسانى كريم ونبيل فجعلها ثمناً لحماية أعراض المغلوبين وأموالهم ودمائهم وعقائدهم كما جعلها تعويضاً عن عدم اشتراكهم فى الحروب الإسلامية وهذا من أسمى عدالة الإسلام ونبالة قصده ، والجزية من جهة أخرى تجعل للذمى حقًا فى التكافل الاجتماعى كالمسلم تمامًا والمسلم يدفع الزكاة[1].

ولم تقف محاولاتهم لتشويه حقائق الإسلام عند هذا الحد بل اتجهوا إلى تشويه معنى الجهاد فى الإسلام والأغراض النبيلة التي فرض من أجلها حيث يزعمون أن معنى الجهاد فى سبيل الله عند المسلمين هو حملهم السيف لإكراه الشعوب غير الإسلامية على الدخول فى الإسلام .

وهذه فِرْيَة يكذبها واقع وتاريخ المسلمين وكتاب رب العالمين فقد قال تعالى : ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾[2]. وقوله : ﴿ **فذكّر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمُصَيْطِر** ﴾[3].

والمسلمون لم يحاربوا قط فى صدر الإسلام إلَّا مدافعين عن أنفسهم أو دافعين لمن يصدون الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوى السلطان وَقِسْ على هذه الاتهامات التى كالوها للإسلام اتهامات أخرى كثيرة كزعمهم بأن الإسلام قد أهان المرأة وأذلها وانتقصها وأضاع حقوقها ، وزعمهم بعدم صلاحية الدين ومناقضته للعلم وأنه أكبر أسباب انحطاط المسلمين اليوم وتخلفهم عن ركب الحضارة .

وهذا تشويه بَيِّن ومقصود لحقائق الإسلام وتاريخه وتاريخ عظمائه وأبطاله ومعاركه وهو تشويه لا يقف عند حد ولا ينتهى إلى غاية فأعداء الإسلام

---

(١) المرجع السابق .

(٢) يونس/ ٩٩ .　　(٣) الغاشية/ ٢١ ، ٢٢ .

من المستشرقين والمنصرين والمتعصبين بيدهم أقلامهم وهى معاول هدم وألسنة سوء يُشَرِّقُون بها ويُغَرِّبُون ويفترون وما يخجلون[1].

وهذه التهم التى كيلوها للإسلام زورًا وبهتانًا قد لعبت دورًا كبيرًا فى تشويه صورة الإسلام فى المجتمعات الغربية وهذا هدفهم لتأمين الغربيين من الدخول فيه وقد عرض التليفزيون البريطانى منذ سنوات فيلماً يسمى : « سيف الإسلام » صَوَّر المسلمين بأنهم إرهابيون وسَفَّاكُون دماء وأنهم يحملون سيوفهم لنشر الإسلام وإرغام الناس على الدخول فيه وأنهم أناس متخلفين ومتأخرين نتيجة تمسكهم بدينهم .

٤ - نَشْرُ العلمانية[2] بين المسلمين :

حتى يتم إقصاء الإسلام عن مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولا يخرج عن جدران المساجد .

والعلمانية باختصار شديد هى فصل الدين عن الدولة والزعم بأنه لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين وأن الإسلام ليس فيه نظام حكم ولا نظام اقتصادى وإنما هو مجموعة من الطقوس والعبادات التى يؤديها المسلم بينه وبين ربه ولا علاقة له بشئون الحياة ، وقد ظهر هذا المذهب فى المجتمعات الغربية نتيجة تسلط الكنيسة على مجالات الحياة ووقوفها فى وجه العلم والتقدم ، أما الإسلام فيختلف عن المسيحية فى أنه نظام شامل وكامل للحياة بكل ما فيها ففيه النظام السياسى والنظام الاقتصادى وفيه التشريع والمعاملات والعبادات ولا يترك صغيرة ولا كبيرة فى حياة الإنسان إلا وقد شملها ، ولكن الاستعمار والصليبية استطاعوا نشر العلمانية بين المسلمين حتى صار لها مؤيدون مِمَنْ يحملون أسماء إسلامية ويعيشون بين المسلمين ويدعون إلى هذا المذهب تنفيذًا للمخطط الموضوع[3]

٥ - الغزو الفكرى والثقافى للبلاد الإسلامية.

فقد أدرك المستعمرون أن الغزو العسكرى لم يعد مجديا للسيطرة على

(١) المرجع السابق .

(٢) الأصح والأقرب إلى منهجها وسلوكها أن تسمى (لا دينية) فهى لا تمت إلى العلم بصلة بل منهجها هو البعد عن الدين (المراجع) .

(٣) مقال للمؤلف نشرته مجلة « رسالة الجهاد » تحت عنوان « الإسلام بين قوة أعدائه وجهل أبنائه » .

البلاد الإسلامية حيث هَبَّ المسلمون لتحرير أرضهم ورفضوا الخضوع للاستعمار ومن هنا لجئوا إلى غزو آخر أشد خطرًا من الغزو العسكرى وهو الغزو الفكرى والثقافى الذى يسعى لنشر الأفكار والمبادئ والأخلاقيات الإسلامية وتشويهها باسم الحضارة والتقدم لضرب **الهوية الإسلامية** وتحويل المسلمين إلى أناس لا هوية لهم .

وقد اعتمد هذا الغزو الجديد على وسائل الإعلام بشتى أنواعها كالصحف والإذاعة والتليفزيون والفيديو والأقمار الصناعية .

٦ - التنصير :

والتنصير هو أخطر هذه الوسائل والخطط على الإطلاق وهو نشاط عالمى واسع النطاق يهدف بالدرجة الأولى إبعاد المسلم عن دينه ودعوته إلى المسيحية والحيلولة بين الإسلام وبين انتشاره ، واخضاع العالم الإسلامى لسيطرة الدول المسيحية وضرب الوحدة الإسلامية وتمزيقها ومخططات التنصير هذه تعمل بين الأقليات الإسلامية وبين الأكثريات خاصة فى البلاد الفقيرة التى تعانى من الفقر والجهل والمرض حيث يذهبون إليها بإمكانيات ضخمة وَيُقَدِّمُون المعونات المادية ويبنون المستشفيات والمدارس ودور الرعاية بحيث يصبح التنصير ثمناً للغذاء والدواء والكساء فى هذه المناطق ويعتمد المنصرون فى نشاطهم على كافة الوسائل المتاحة لهم خاصة وسائل الإعلام حيث يمتلكون الصحف والمجلات ومحطات الإذاعة والتليفزيون والأقمار الصناعية .

وهم لا يسعون إلى تحقيق أهدافهم بشكل عشوائى غير منظم ولكن يقوم نشاطهم على التخطيط والتنظيم الدقيق وتقف من وراء ذلك منظمات متعددة للتنصير على رأسها مجلس الكنائس العالمى ، ويقوم المنصرون بعقد الندوات والمؤتمرات لمناقشة خططهم وأهدافهم وما حَقَّقُوه منها وما يجب أن يسعوا لتحقيقه .

والدول المسيحية لا تبخل على إرساليات التنصير بالمال والعتاد ولكن تقدم لها الدعم الكبير الذى يصل إلى المليارات سنوياً وهذا دليل على قوة الصليبية التى تقف فى وجه المد الإسلامى وتسعى لنشر المسيحية .

ولقد جاء فى أحدث إحصائية عن التنصير نشرتها المجلة الدولية لأبحاث التنصير التى تصدر فى أمريكا نقلاً عن « ديفيد باريت » أشهر الإحصائيين فى إحصائيات التنصير : إن مجموع التبرعات لأغراض كنسية بلغت عام ١٩٨٩ م ما قيمته ١٥١ مليار دولار أمريكى ، وأن عدد الدوريات والمجلات والنشرات المسيحية التى توزع فى العالم تبلغ ٢٢٧٠٠ مطبوع ، أما الأناجيل التى وزعت فى العام نفسه فتبلغ ٧٢ مليون و٥٥٢ ألف نسخة وتحدد الإحصائية عدد أجهزة الكمبيوتر التى تستغلها المنظمات المسيحية لخدمة التنصير فى تخطيط برامجها وتنفيذها ٤٥ مليون جهاز ، وأن محطات الإذاعة والتليفزيون المسيحية فى العالم تبلغ نحو ١٩٠٠ محطة ، وأن عدد المنصرين المحليين أى أولئك الذين ينتمون إلى الدول التى يعملون فيها يبلغ ٣ مليون و٨٦٥ ألف مُنَصِّرٍ .



المبحث الثانى

الهجوم على الإسلام مخطط صهيونى

دأب اليهود منذ ظهور الإسلام على محاربته والسعى لإفساد شرائعه وتشويه مصدر أحكامه والعيب فى رسوله محمد - ﷺ - والدس فى سنته المطهرة وإثارة الفتنة بين جمهرة المسلمين .

وهذا **المخطط اليهودى** الآثم لم يتوقف منذ بدء رسالة الإسلام وحتى يومنا هذا ، فلو نظرنا إلى بروتوكولات حكماء صهيون نجد أنهم يُخَطِّطُون فيها للقضاء على الأديان ففى **البروتوكول الرابع عشر** جاء : « عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا .. من أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد وإذا كانت النتيجة التى وصلنا إليها مؤقتًا قد أسفرت عن خَلق الملحدين فإن هدفنا لن يتأثر بذلك بل يكون ذلك مثلاً للأجيال القادمة التى ستستمع إلى دين موسى هذا الدين الذى فرض علينا مبدأه الثابت النابه وضع جميع الأمم تحت أقدامنا » . وجاء فى **البروتوكول السابع عشر** : « لقد عنينا عناية خاصة بالعيب فى رجال الدين غير اليهودى والحَطّ من قدرهم فى نظر الشعب وأفلحنا كذلك فى الإضرار برسالتهم التى تنحصر فى تعويق أهدافنا والوقوف فى سبيلها حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام » .

وإن حرية العقيدة معترف بها اليوم فى كل مكان ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية إلا بضع سنوات وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك ولكن الوقت لم يحن بعد لمناقشة هذه المسألة ...

وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم تافهًا وسنجعل تأثيرهم فى نفوس الشعب فاترًا إلى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسياً »[1].

---

(١) د . على محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق - أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى .

فقد كرست الصهيونية نشاطها للنيل من الإسلام والمسيحية ومحاربتهما وقد بدأ هذا النشاط منذ زمن سحيق ففى التلمود « حيث إن المسيح كذاب وحيث أن محمدًا اعترف به والمعترف بالكذاب كذاب مثله فيجب أن نقاتل الكذاب الثانى كما قاتلنا الكذاب الأول » .

وقد جاهر حاخام يهودى فى الحفل الذى أقيم لوضع حجر الأساس للمحفل الماسونى فى تل أبيب عام ١٣٣٧ هـ بقوله: « إننا نعمل جميعاً لهدف واحد هو العودة بكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الأرض وما عدا ذلك فهى أديان باطلة أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد وبين أى شعب و شعب ونتيجة لجهوداتكم ، سيأتى يوم يتحطم فيه الدين المسيحى والدين الإسلامى ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفنة ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة »[1].

ولقد كشف الأميرال « وليام غاى كار » فى كتابه « **أحجار على رقعة الشطرنج** » عن **المؤامرة الصهيونية العالمية** التى وضعت للسيطرة على العالم ومحاربة الأديان وفرض المذهب الشيطانى على المجتمعات ، وقد وضع هذه المؤامرة « وايز هاويت » مع المرابين اليهود عام ١٧٧٦ م وهى تقوم على تدمير جميع الحكومات والأديان الموجودة على مستوى العالم وذلك عن طريق تقسيم الجوييم « غير اليهود » إلى معسكرات متنابذة تتصارع إلى الأبد حول عدد من المشكلات التى تتولد دونما توقف اقتصادية وسياسية وعنصرية واجتماعية .

ويقضى المخطط بتسليح هذه المعسكرات بعد تقسيمها وتدبير حادث فى كل مرة يكون من شأنه أن تنقض هذه المعسكرات على بعضها فيضعفون أنفسهم ويحطمونها ويحطمون الحكومات الوطنية والمؤسسات والقواعد الدينية .

وفى نفس العام الذى انتهى فيه « وايز هاويت » من وضع خطة المؤامرة قام بتنظيم « جماعة التوراتيين » ويقصد بهم اليهود للبدء فى تنفيذها فلجأ إلى الكذب مُدَّعِيًا أن هدفه الوصول إلى حكومة عالمية واحدة تتكون من ذوى

---

(١) المرجع السابق .

المقدرات الفكرية الكبرى واستطاع بذلك أن يضم إليه ما يقرب من ألفين من الأتباع من بينهم أبرز المتفوقين فى ميادين الفنون والآداب والعلوم والاقتصاد والصناعة ، وأسَّسَ محفل الشرق الأكبر وهو المركز الرئيسى للماسونية ووضع التعليمات التى يجب على أتباعه تنفيذها للوصول إلى الهدف وهى[1]:

١ – استعمال الرشوة والجنس للوصول إلى السيطرة على الأشخاص الذين يشغلون المراكز الحَسَّاسة على مختلف المستويات فى جميع الحكومات وفى مختلف مجالات النشاط الإنسانى ودفع من يقع إلى العمل فى مخططهم عن طريق الابتزاز بالتهديد السياسى أو الخراب المالى أو حتى الإيذاء الجسدى وارتكاب جريمة القتل تجاهه وتجاه أفراد أسرته .

٢ – قيام أساتذة الجامعات والمعاهد العلمية من اليهود بالاهتمام بالطلاب المتفوقين عقلياً وتدريبهم وتجنيدهم لخدمة الهدف وتخصيصهم بمنح دراسية والترسيخ فى أذهانهم أن تكوين حكومة واحدة فى العالم بأسره هو الطريق الوحيد للخلاص من الحروب والكوارث .

٣ – أن يتم استخدام الشخصيات ذات النفوذ والطلاب الذين تلقوا تدريباً خاصاً كعملاء وإحلالهم فى المراكز الحساسة خلف الستار لدى جميع الحكومات بصفتهم خبراء أو متخصصين بحيث يكون فى إمكانهم تقديم النصح إلى كبار رجال الدولة وتوجيههم لاعتناق السياسات التى تخدم المخطط الصهيونى للتوصل إلى التدمير النهائى لجميع الأديان وجميع الحكومات .

٤ – محاولة السيطرة على الصحافة وكل أجهزة الإعلام الأخرى وعلى مصادر الأخبار فى العالم لاستغلالها فى تحقيق الخطة الموضوعة .

والحقيقة أن جانباً كبيرًا من المخططات التى وضعتها الصهيونية يقوم على محاربة الأديان والعيب فى الرسل والأنبياء وعلى رأسها الإسلام ورسوله محمد ﷺ ولقد ثبت أن من أساليب الصهاينة أنهم ينافقون بالتستر خلف الأديان غير اليهودية فقد دخلوا فى كثير من الأديان السماوية أو الأرضية سِرًّا ليخدموا ديانتهم اليهودية فدخلوا فى الإسلام والمسيحية وغيرهما من الأديان الكبرى فى

---

(١) وليام غاى كار – أحجار على رقعة الشطرنج .

العالم نِفَاقًا لهدفهم الوحيد وهو هدم الإسلام لأنه العدو اللّدود لهم لأنه هو الذى يوقف مَدَّهم ويكشف أسرارهم ولقد برز فى الفكر اليهودى والتوراة والتلمود والبروتوكولات مجموعة من الخطط الفرعية التى استهدفت حرب الأديان بصفة عامة والدين الإسلامى بصفة خاصة وهذه الخطط تتمثل فى الآتى[1]:

١ – كل شىء فى الحياة مادى فالله والعالم ليسا إلَّا شيئاً واحدًا وجميع الديانات خيالية غير ثابتة اخترعها ذوو المطامع .

٢ – العلم هو الأساس الوحيد لكل معتقد ، ورفض كل عقيدة تقوم على أساس الوحى .

٣ – السطو على فكرة الوحدانية أو تشويهها بالتفاسير كالقول بأن الطبيعة هى الله .

٤ – إنكار وجود الخالق وتأييد قِدَم العالم .

٥ – تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح فى أنسابهم .

٦ – محاولة القضاء على الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر جملة وتفصيلاً .

٧ – فصل الدين عن الدولة بحيث ينتظم الحكم فى العالم كله كما كانت فى القرون الوسطى بين الكنيسة والسلطة .

٨ – إثارة الشكوك ضد كل المُسَلَّمات والعقائد التى يوقن بها الناس فى حياتهم العامة والخاصة .

٩ – معارضة المعنويات والروحيات والغيبيات فى العقيدة والشريعة والأخلاق .

١٠ – إدخال الشُّبهات والإسرائيليات إلى العقائد والتاريخ .

١١ – تشجيع الهجوم على السُّنَّة المحمدية والتشكيك فيها وفى المصادر الإسلامية الأخرى .

---

(١) د . جبر محمد حسن – بحث « الحركة الصهيونية من داخلها » .

١٢ - مواجهة موجة إقبال الشباب من الجنسين على الالتزام بالتعاليم الإسلامية .

١٣ - التحرى الدقيق عن الآباء الروحيين المعاصرين للأفكار وتشويه سمعتهم .

ولقد حرصت **دولة إسرائيل** على محاربة الدين الإسلامى فى نطاقها المحلى تطبيقاً للمبادئ التى وضعتها الصهيونية فعمدت إلى إجبار التلاميذ المسلمين على دراسة اللغة العبرية والديانة اليهودية وحفظ التوراة ومنعتهم من حفظ القرآن الكريم أو دراسة التاريخ الإسلامى .

وتطاولت إسرائيل على القرآن الكريم فطبعت فى عامى ١٣٨٠ هـ و١٣٨٨ هـ نسخًا مُزَوَّرة من المصحف الشريف أسقطت منها بعض الألفاظ أو بعض الآيات وأحياناً سورة بحذافيرها أو تناولت بعض الألفاظ بالتحريف تبتغى بذلك تحريف بعض المعانى القرآنية والتشكيك فى سلامة كتاب الله(١).

ولا تقف الصهيونية وحيدة فى حربها للإسلام بل تتعاون مع الصليبية فى هذا المجال بحيث يعتبرون الإسلام هو العدو الخطر الوحيد الذى يهدد كيانهما ولذا فإنهم يعدون المؤامرات الخبيثة لتفريغه من قلوب المسلمين حتى يصبحوا ممزقين مُفَتَّتين لا قوة لهم ولا هدف .

وهم فى مخططاتهم يوصون بالتهجم على شخصية الرسول - ﷺ - والنيل من صدق رسالته وجعل المجتمعات الإسلامية مجتمعات دنيوية لا علاقة لها بالدين ، وتشجيع الأنظمة المتنكرة للإسلام ودعمها ، والتخطيط لإيجاد أمثالها فى الدول المحافظة التى تسمح بالنشاط الإسلامى .

---

(١) د . على محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق - مرجع سابق .

المبحث الثالث

الهجوم على الإسلام مخطط شيوعى

الشيوعية مذهب مادى يقوم على العداء لكل الأديان السماوية وبخاصة الإسلام فقد قامت على مبدأ يعتبر (الدين أفيون الشعوب – وأعلنت منذ قيامها العداء للإسلام باعتباره الدين العالمى الصالح لقيادة البشرية كلها وقد بَرَزَ عداؤها هذا فيما تفعله الأنظمة الشيوعية مع الأقليات المُسْلِمَة فى البلاد التى تسيطر عليها الدول الشيوعية مثل : الاتحاد السوفيتى ، والصين ، وبلغاريا ، ورومانيا ، والفلبين ، وأثيوبيا ، ويوغوسلافيا ، وقد سمعنا وشاهدنا ما حدث ويحدث للمسلمين فى هذه البلاد من اضطهاد وتعذيب وحرب شعواء فى الدين والعقيدة .

ولا تكتفى الشيوعية بنشر أفكارها التخريبية فقط فى البلاد التى تسيطر عليها بل تسعى لنشر هذه الأفكار فى البلاد الإسلامية ذاتها من خلال أذنابها ورجالها الذين يُكوِّنُون الأحزاب الشيوعية التى تسعى لحرب الإسلام والتشكيك فى أصوله ونشر الفرقة والخلاف بين المسلمين .

ولقد أعد الشيوعيون مخططاً رهيباً للقضاء على الإسلام وَقَدَّمُوه لعبيدهم وأذنابهم المُسَخَّرِين فى البلاد الإسلامية لينفذوه[1].

وتشير الوثيقة الخاصة بهذا المخطط والتى نشرتها مجلة : « كلمة الحق » فى عددها الصادر فى المحرم ١٣٨٧ هـ – نيسان ١٩٦٧ م إلى ضرورة اتخاذ الإسلام نفسه كأداة لهدم الإسلام وَقَرَّرُوا فى ذلك ما يلى :

١ – مهادنة الإسلام ليتم الغلبة عليه .

٢ – تشويه سُمعة علماء الدين والحُكَّام المتدينين واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

---

(١) مقال للمؤلف نشرته مجلة رسالة الجهاد تحت عنوان : « الإسلام بين قوة أعدائه وجهل أبنائه » .

٣ – تعميم دراسة الشيوعية فى جميع المعاهد والكليات لمزاحَمَة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الشيوعية .

٤ – الحيلولة دون قيام حركات دينية فى البلاد الإسلامية مهما كان شأنها ضعيفاً ، والعمل الدائم بيقظة لمحو أى انبعاث دينى ، والضرب بعنف لا رحمة فيه كل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت .

٥ – محاصرة الإسلام فى كل الجهات وإلصاق التهم به وتنفير الناس منه بالأسلوب الذى لا ينم عن معاداته .

٦ – تشجيع الكُتَّاب الملحدين والتركيز فى الأذهان على أن الإسلام قد انتهى عصره ولم يبق منه إلا العبادات الشكلية .

٧ – قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً باتاً والتفريق بينهم .

٨ – نشر الأفكار الإلحادية وكل فكر يضعف الشعور الدينى والعقيدة الدينية وزعزعة الثقة فى علماء الدين .

وتفصح الوثيقة عن أسرار أخرى فتقول : « وفى المحيط العربى كله يعمل أنصارنا بجد وقد استطاعوا الوصول إلى المناصب الرئيسية فى الوزارات والإدارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، ويزداد على مَرِّ الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفعال فى خلق الجو الصالح للتحرك الثورى .



المبحث الرابع

الهجوم على الإسلام هدف تغريبى

الهجوم على الأديان عامة هدف واضح من أهداف التغريب حيث تسعى القوى المعادية للإسلام والساعية إلى تغريب مجتمعاته إلى إنكار الدين واعتباره طورًا متخلفاً من أطوار التقدم الاجتماعى ، وفصل الإسلام عن السياسة وعن الأخلاق والحملة على العقائد والقيم وإذاعة الفرقة والخصومة بين الأديان والأجناس كما تسعى هذه القوى التغريبية إلى فرض الفلسفات المادية بما تحتوى من أحقاد وأهواء وأوهام الإلحاد ، وإنكار مالا يخضع للتجربة وادعاء المنهجية فى البحث ، وإشاعة مفهوم المادية فى العلاقات الإنسانية والحياة الاجتماعية عن طريق نظرية فرويد التى تصور الإنسان حيواناً تحكمه غريزته .

وهذه هى أهداف الغزو الفكرى والثقافى ، وقد أرجع بعض الباحثين حركة الغزو الثقافى الأولى إلى عبد الله بن سبأ ثم عبد الله بن المقفع وإلى مدرسة الزنادقة المشهورة التى برز فيها أبو نواس ، وبشار بن برد ، ثم تشكلت هذه الدعوة المسمومة فى حركات ضخمة : كالراوندية ، والباطنية ، والقرامطة . وهى قوى فكرية ساندتها قوى سياسية وقامت مناهج هذه الحركات على المخططات التى وضعها زعماء الحركة الوطنية فى رسائل « إخوان الصفا » وقد جمعت هذه الحركة دعاة الوثنية من اليهود والنصارى فى إطار المجوسية القديمة ، والفلسفة الإغريقية ، وفلسفات الفرس ؛ والهنود القديمة ، والمستمدة أساسًا من علم الأصنام اليونانى ، وقد شمل هذا المخطط كله دعوة حارة إلى الشعوبية وخصومة شديدة للإسلام والفكر الإسلامى والعرب جعلت من أهم أهدافها السرية إضافة الإسرائيليات إلى الأصول الإسلامية لإفسادها وتدميرها .

وقد برزت قوى الزنادقة والملاحدة والشعوبية فى مجال الأدب العربى خاصة والفكر الإسلامى عامة وكان مجال التأليف أبرز ما يدين عملهم فإذا نظرنا اليوم إلى حركة التغريب والغزو الثقافى المعاصر نجد نفس الاتهامات والادعاءات تتجدد مع اختلاف فى أساليب الأدب والنشر .

ولقد سعت حركات التغريب الحديثة إلى تزييف حقائق الإسلام وتفريغه من محتواه الحقيقى وجوهره الرفيع ، وعمل التغريب عن طريق الاستشراق فى جميع الميادين على بث سمومه بغية توهين قيم الإسلام فى نفوس أصحابه وإشاعة روح الشك والاستهانة وإثارة الشبهات حتى ينتقص الإسلام فى نظر أهله .

ومن ثم فإنهم يعلون من شأن الفرق الضالة ، والدعوات المنحرفة : كالاعتزال ، والتصوف الفلسفى ، والباطنية ، وإخوان الصفا ، دعاة وحدة الوجود والحلول ، وشعر الزنادقة ..

ويرمى التغريب إلى غاية هى التشكيك فى قوة المنهج الإسلامى وإضعاف العلاقة بين المسلم والإسلام كدين أو مجموعة من القيم والمبادئ العليا .

ذلك أن سياسة القوى الأجنبية لا ترحب بقوة الإسلام فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة ولا ترحب باتجاه الشباب فى هذه المجتمعات إلى الإيمان بالإسلام والتمسك به لأن قوة الإسلام حين تبرز تحول دون عملية النهب العالمى الذى يقوم به الغرب للإمكانات الاقتصادية فى عالم الإسلام ولذلك فهى تحاول أن تروج لمفهوم إسلامى زائف يوصف بالتسليم أو الخلط بين مفاهيم الأديان والأيديولوجيات بحيث يختفى تمامًا تميز الإسلام الواضح[1].

وهم يدعون فى هذا المجال إلى عدة أمور هى :

١ – **إحياء الفرق القديمة وإنشاء فرق جديدة** : وذلك للعمل على تدمير مفهوم الإسلام الأصيل الجامع ، وقد عمد التغريب فى ذلك إلى إحياء دعوات

(١) أنور الجندى – أهداف التغريب فى العالم الإسلامى .

الباطنية والإباحية والإلحاد وإنكار الأديان ، وقد كانت الماسونية على رأس هذه الدعوات كما ظهرت دعوات هدامة جديدة هى البهائية والقاديانية وهى حركات بديلة ووريثة للقرامطة وإخوان الصفا والإسماعيلية مع تعدد الأسماء واختلاف الأزمان .

وقد عمدت دول الاستعمار على تبنى هذه الحركات الهدامة وحمايتها للدس ضد الإسلام وهدم قوائمه والتشكيك فى شريعته وأصوله .

٢ – **وحدة الأديان** : وهى دعوة ترمى إلى انتقاص مكانة الإسلام .

٣ – **الإسرائيليات** : وهى إضافات خطيرة ونظريات باطلة اقتبست من نصوص قديمة وثنية ومجوسية تسربت إلى المفاهيم الإسلامية من قِبَل خصوم الإسلام وأعدائه لعزله عن جوهره الأصيل .

٤ – **إحياء الفكر الوثنى** : عن طريق طرح الشبهات حول العقيدة وإحياء الفكر الباطنى والفلسفات الإغريقية القديمة والفلسفات المادية الحديثة .

٥ – **إفساد المصادر والمراجع** التى يعتمد عليها المسلم فى فهم عقيدة الإسلام وتاريخه ، فقد عمد التغريب والغزو الفكرى فى خطتهما الرامية إلى تدمير مفهوم الإسلام الصحيح إلى هذا الإفساد وذلك بالسيطرة على دوائر المعارف العالمية وإشاعة سمومهم فى الإسلام ورسوله وكتابه وذلك ما نجده فى جميع دوائر المعارف البريطانية والأمريكية وفى الكتب التى ألفها المستشرقون والمنصرون وهناك عديد من هذه الكتب المترجمة للغة العربية بقصد إفساد مفاهيم الإسلام فى مختلف قضايا الفكر والاجتماع والسياسة والتاريخ .

وهذه المؤلفات وغيرها ترمى إلى إثارةِ الشبهات حول التوحيد والنبوة والوحى والقرآن ، ومحاولة الادعاء ببشرية القرآن وانتشار الإسلام بالسيف ، وشبهة التشابه فيما بين القرآن وبين ما فى الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل وكلها شبهات رد عليها الباحثون .

وفى مجال إحياء التراث جرى إحياء عدد من الكتب المضللة أمثال : **رسائل إخوان الصفا وألف ليلة وليلة والأغانى** فقد عمدت حركة التغريب إلى اعتبار كتاب الأغانى مرجعاً وكتاب ألف ليلة مصدرًا على الرغم من محاذير الاعتماد على هذا النوع من التأليف .

فمؤلف الأغانى رجل تصفه المصادر بالإسفاف والاضطراب وكتاب ألف ليلة وليلة هو جماع قصصى فارسى وخرافات وأساطير من قبل الإسلام وقد اختلط وأضيف إليه أقاصيص الرواة وهو بذلك لا يمكن أن يكون مصدرًا لرسم صورة المجتمع الإسلامى على حقيقته .

وأما رسائل إخوان الصفا فهى تمثل الفكر الباطنى المجوسى الذى حمله الزنادقة الحاقدين على الإسلام واللغة العربية ولهم صلتهم المريبة بالحركات السرية التى كانت تعمل على تقويض المجتمع الإسلامى[١].



(١) المرجع السابق .

المبحث الخامس

حكم سب الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الرسل والأنبياء

سَبُّ الرسول - ﷺ - مخطط قديم بدأ بشكل فردى مع بدء الرسالة وتكليف الحق - سبحانه وتعالى - لنبيه محمد - ﷺ - بحملها وتبليغها إلى الناس جميعاً .

ولقد ذهب عامة أهل العلم - كما يقول **الإمام ابن تيمية** فى كتابه « **الصارم المسلول على شاتم الرسول** » - إلى أن من سب الله سبحانه أو سب رسوله محمد - ﷺ - أو أحد أنبيائه المعروفين والمذكورين فى القرآن الكريم يُعَدُّ كافرًا لا مرتدًا إن كان مسلمًا ويعد مُحَارِباً إن كان ذِمِّيًا ويجب قتله بالإجماع .

فالسَّابُّ إن كان مسلما وَمُقِرًّا بكل ما أنزل الله فإنه يُقتل بسببه هذا وقد أجمع الأئمة الأربعة على وجوب قتله ، وإن كان ذميًّا فإنه يقتل أيضاً فى مذهب مالك وأهل المدينة وأحمد وفقهاء الحديث .

وقد قال **ابن عمر** : من شتم النبى - ﷺ - قُتل ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول : يُقتل وذلك أنه من شتم النبى - ﷺ - فهو مرتد عن الإسلام ولا يشتم مسلم النبى - ﷺ - .

وقد قَتَلَ **خالد بن الوليد** رجلاً شتم النبى - ﷺ - ولم يستتبه .

والآيات الدالة على كفر الشاتم وقتله أو على أحدهما إذا لم يكن معاهدًا وكان مظهرًا للإسلام كثيرة مع أن هذا مجمع عليه كما تقدم .

ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ **ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أُذُنٌ قل أُذُنُ خيرٍ لكم** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾[1] إلى قوله : ﴿ ... **ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله**

(١) سورة التوبة ٦١ .

فأن له نار جهنم خالدًا فيها ذلك الخزى العظيم ﴾[1].

فإيذاء رسول الله - ﷺ - محادة لله ولرسوله لأن ذكر الإيذاء هو الذى اقتضى ذكر المحادة ، والإيذاء والمحادة كفر لأنه - سبحانه - أخبر أن له نار جهنم خالدًا فيها فيكون المؤذى لرسول الله - ﷺ - كافرًا عدوًا لله ورسوله ومحارباً لهما .

● ويقول تعالى : **﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ﴾**[2] . ولو كان مؤمناً معصوماً لم يكن أذل لقوله تعالى : **﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾**[3].

● ويقول تعالى : **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾**[4]. فإذا كان من يُواد المُحَاد ليس بمؤمن فكيف بالمحاد نفسه وقد قيل إن من أسباب نزول هذه الآية أن أبا قحافة شتم النبى - ﷺ - فأراد الصديق قتله ، أو أن ابن أُبَىٍّ تَنَقّصَ النبى - ﷺ - فاستأذن ابنه النبى فى قتله لذلك ثبت أن المحاد كافر حلال الدم .

● وقوله تعالى : **﴿ يحذر المنافقون أن تُنَزَّل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوضُ ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نَعْفُ عن طائفةٍ منكم نعذب طائفةً بأنهم كانوا مجرمين ﴾**[5].

وهذا نص فى أن الاستهزاء بالله وآياته وبرسوله كفر فالسَّبُّ المقصود هو كفر بطريق الأولى .

● وقوله تعالى : **﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ﴾**[6]. ففى هذه الآية قرن الحق سبحانه أذاه بأذى رسوله كما قرن طاعته بطاعة رسوله فمن أذى الرسول - ﷺ - فقد أذى الله تعالى ، وهؤلاء لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ومن لعنه الله وطرده من رحمته فى الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرًا .

---

(١) التوبة/ ٦٣ (٢) المجادلة/ ٢٠ (٣) المنافقون/ ٨ .

(٤) المجادلة / ٢٢ (٥) التوبة/ ٦٤ - ٦٦ (٦) الأحزاب/ ٥٧ .

● ولو نظرنا فى السنة المطهرة نجد الحديث الذى رواه أبو داود فى سننه وابن بطة فى سننه : أن يهودية كانت تشتم النبى - ﷺ - وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت فأطلّ رسول الله - ﷺ - دمها « أى أهدره » فهذا الحديث دليل على قتل الذمى إذا سَبَّ الرسول - ﷺ - وقتل المسلم والمسلمة السَّابُّ هنا بطريق الأولى .

وقد قال الإمام الشافعى : إن الذمى إذا سب قُتل وبرئت منه الذمة واحتج على ذلك بخبر ابن الأشرف اليهودى الذى رواه عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - ﷺ - « مَنْ لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله » فقام محمد بن سلمة فقال : أنا يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : « نعم » .

وروى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « من سَبَّ نبياً قُتِلَ وَمَنْ سَبَّ أصحابه جُلِدَ » .

وروى عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : هجت امرأة من حطمة النبى - ﷺ - فقال : « من لى بها » فقال رجل من قومها : أنا يا رسول الله فنهض فقتلها .

● وسب النبى - ﷺ - يتعلق به عدة حقوق :

أولها : حق الله سبحانه من حيث أن الساب قد كفر برسوله وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة ، وَطَعْنٌ فى كتابه ودينه فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة ، كما أن الساب قد طعن فى ألوهية الله سبحانه لأن الطعن فى الرسول طعن فى المرسل وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته .

وثانيها : حق جميع المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصاً أمته وقيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم و آبائهم وأبنائهم .

وثالثها : حق رسول الله - ﷺ - من حيث خصوص نفسه فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة فى عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله وأكثر مما يؤذيه الضرب ، وهتك عرضه قد يكون أعظم عنده من قتله لأن قتله لا يقدح عند

الناس فى نبوته ورسالته وعلو قدره كما أن موته لا يقدح فى ذلك بخلاف الوقيعة فى عرضه فإنها قد تؤثر فى نفوس بعض الناس .

فالسب فيه من الأذى لله ولرسوله ولعباده المؤمنين ما ليس فى الكفر والمحاربة .

وجناية السب هذه موجبها القتل لما تقدم من قوله – ﷺ – « من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله » فعلم من ذلك أن من آذى الله ورسوله كان حقه أن يُقْتَل ، ولِمَا تقدم من إهدار النبى – ﷺ – دم المرأة السابة ولما تقدم من الأحاديث ومن أقوال الصحابة رضى الله عنهم .

كما أن سَبَّ الرسول – ﷺ – مع كونه من جنس الكفر والحراب فهو أعظم من مجرد الردة عن الإسلام لأنه من المسلم ردة وزيادة فإذا كان كفر المرتد قد تغلظ لكونه قد خرج عن الدين بعد أن دخل فيه فأوجب ذلك قتله عينا فكفر الساب الذى آذى الله ورسوله وجميع المؤمنين من عباده أولى أن يتغلظ فيوجب القتل عيناً لأن مفسدة السب فى أنواع الكفر أعظم من مفسدة مجرد الردة .

وتطهير الأرض من إظهار سب رسول الله – ﷺ – واجب بحسب الإمكان لأنه من تمام ظهور دين الله وعلو كلمته وكون الدين كله لله فحيثما ظهر سبه ولا ينتقم ممن فعل ذلك لم يكن الدين ظاهرًا ولا كلمة الله عالية وهذا كما يجب تطهيرها من الزناة والسُّرَّاق وَقُطَّاعِ الطريق بحسب الإمكان بخلاف تطهيرها من أصل الكفر فإنه ليس بواجب .

وقتل ساب النبى – ﷺ – وإن كان قتل كافر فهو حد من الحدود وليس قتلاً على مجرد الكفر والحراب بل هو خيانة زائدة عن مجرد الكفر والمحاربة وقد قال ابن عباس – رضى الله عنه : « أيُّمَا مسلم سب الله أو سب أحدًا من الأنبياء فقد كَذَّب برسول الله – ﷺ – وهى ردة يستتاب منها فإن رجع وإلا قُتِلَ » .





الفصل الثانى

حرية العقيدة والفكر والرأى


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حُرّيّة العقيدة والفكر والرأى

كثير ممن تطوعوا للدفاع عن **علاء حامد** وغيره من أصحاب الفكر والكتابات الإلحادية المنحرفة من **العلمانيين والشيوعيين** قد استندوا فى دفاعهم على أن الإسلام والدساتير والقوانين الوضعية قد كفلت حرية العقيدة وحرية الفكر والرأى وأنه لا يجب أن يؤاخذ أى إنسان على ما يفكر فيه ويكتبه مهما كان هذا التفكير وتلك الكتابات حتى تتحقق هذه الحرية .

والحقيقة أن هؤلاء ضالون ومضلون لأنهم أخذوا قاعدة عامة وبنوا عليها دفاعهم دون أن ينظروا إلى جوانب هذه القاعدة وَحُدُودِهَا ومحاذيرها وسوف يتبين ذلك واضحاً جلياً بحديثنا عن حرية العقيدة وحرية الفكر والرأى فى المبحثين التاليين .



المبحث الأول
حرية العقيدة

حرية العقيدة يقصد بها حق الفرد فى اعتناق الدين الذى يريده وحقه فى ممارسة الشعائر الدينية ، أو حرية الإيمان بما أنزل الله من الكتب وَبَعَثَ من الرُّسل .

ومن الأمور المُسَلَّمِ بها فى الإسلام أنه ترك للأفراد اعتناقه بحريتهم واختيارهم ولم يحملهم على هذا الأمر ويدل على ذلك نصوص القرآن الكريم وهى عديدة وتقطع بكفالة حرية العقيدة فى الإسلام فيقول تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرُّشْدُ من الغى** ﴾[1]. ويقول تعالى : ﴿ **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** ﴾[2]. وقوله تعالى : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تُكْرِه النَّاس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾[3]. وقوله : ﴿ **وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾[4]. وقوله : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾[5].

فالدعوة إلى الإسلام أساسها الإقناع وغير المسلمين فى دار الإسلام هم وشأنهم فى عقائدهم ولم يحدث على طول التاريخ الإسلامى أن أُجْبِرَ أحد على دخول الإسلام[6].

وحرية العقيدة فى الإسلام لها جانبان :

الأول : ألا يُجْبَرُ أحد من أصحاب الديانات الأخرى على الدخول فى الإسلام وهذا له أساسه من القرآن والسنة وأحوال المسلمين .

والثانى : أن يكون للمخالفين من أهل الكتاب حقهم فى العبادة وفى إقامة شعائرهم الدينية . وألا يكون هناك تدخل فى دائرة الاعتقاد الدينى لغير

---

(١) البقرة /٢٥٦ . (٢) آل عمران /٢٠ (٣) يونس/ ٩٩ .
(٤) ق /٤٥ . (٥) النحل /١٢٥ .
(٦) المستشار عمر شريف – نظم الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية .

المسلمين ، ولا يصح أن تنتقص حقوق أهل الكتاب فى أى مجتمع إسلامى لأن ذلك يتعارض مع الإسلام ولا يصح أن يكون باسمه[1].

فكل فرد حُرٌّ فى أن يتبع ما يشاء ويؤمن بما أراد وله أن يمارس حريته فى العبادة والإيمان الكامل شريطة ألا تمس هذه الممارسة لشعائر ملته ما تقتضيه مصالح المسلمين ومشاعر دينهم أو أن تكون هذه الممارسة دعوة لشرك أو فساد أو تعطيل لآداء المسلمين لشعائرهم أو طعناً فيها . فهى إذن حرية مكفولة ومسئولة غير مطلقة وقد أفسْحَ الإسلام صدره لمن أراد المجادلة والمناقشة القائمة على العلم والفكر لا التعريض والإفساد فقرر حرية المناقشات الدينية والجدل المنطقى فيها لتمكين الناس من الوصول إلى الدين الحق والإيمان المطلق به وبأحكامه وكل ذلك دون أن تنقلب المناقشة إلى عمل مضاد يمثل محاربة للدين أو عرقلة له وتقويضاً لدعائمه .

فليس من قبيل حرية العقيدة أن يخوض مسلم فى أمور العقيدة وما يتصل بها من مُسَلّمَات ويصل به تفكيره المنحرف إلى إنكار وجود الله وتسفيه الرسل والأنبياء والتشكيك فى الكتب السماوية والبعث والثواب والعقاب والجنة والنار كما حدث فى الكتب والقصص الأدبية المناهضة للإسلام وغيره من الأديان كرواية « أولاد حارتنا » لنجيب محفوظ ورواية « آيات شيطانية » لسلمان رشدى ورواية « مسافة فى عقل رجل » لعلاء حامد .

وتأكيداً لمفهوم حرية العقيدة فى ظل الإسلام لابد من الإشارة إلى عدة أمور أساسية هى :

● **الأمر الأول** : إن هذه الحرية مكفولة فى المقام الأول لغير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى أو من أهل الشرك والكفر حيث لا يصح إجبار هؤلاء على اعتناق الإسلام وهذا ما أكَّده قوله تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾[2] ولا يصح منع هؤلاء من أداء شعائر دينهم بحرية كاملة إذا ما أقاموا فى ظل الدولة الإسلامية .

---

(١) د / جمال الدين محمود – أصول المجتمع الإسلامى .

(٢) البقرة/٢٥٦ .

● **الأمر الثانى** : إن هذه الحرية تعنى بالنسبة للمسلم الذى اعتنق الإسلام أو ولد من أبوين مسلمين حقه فى ممارسة شعائر إسلامه والتخلق بأخلاقه سواء عاش فى ظل دولة إسلامية أو غير إسلامية .

● **الأمر الثالث** : إن هذه الحرية بالنسبة للمسلم لا تعنى حقه فى الارتداد عن الإسلام واعتناق غيره من الأديان أو البقاء بلا دين أو حقه فى نقد عقائد الإسلام ومُسَلَّمَاته والتشكيك فى أصوله وتسفيه رسوله والحط من أحكامه لأن ذلك يوقعه فى حد من حدود الله التى قَرَّرَهَا الإسلام وثبتت بالقرآن والسنة والإجماع وهو حد الردة الذى يقضى بقتل المرتد عن الإسلام بعد استتابته وإصراره على الكفر والإلحاد فقد روى البخارى وأبو داود أن رسول الله - ﷺ - قال : « من بَدَّلَ دينه فاقتلوه » . وروى الجماعة عن النبى - ﷺ - أنه قال : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثَّيِّبُ الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » .



حد الردة وحرية العقيدة

ولقد ربط بعض الناس بين تطبيق حد الردة وبين حرية العقيدة بدعوى أن إعدام المرتد منافٍ لمبدأ حرية العقيدة .

وقبل أن نناقش هذه الشبهة ، ونرد عليها نقدم للقارئ المسلم إحاطة سريعة بحد الردة .

فحد الردة من الحدود المقررة فى الشريعة الإسلامية وعقوبة هذا الحد هو القتل كما سبق أن بينا من أحاديث الرسول – ﷺ – وهى أحاديث صحيحة من روايات البخارى وغيره من أئمة الحديث الثقاة ، ولقول الحق سبحانه : ﴿ **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة** ﴾[1].

والردة فى الإسلام لها ركنان :

الأول : الرجوع عن الإسلام . **والثانى** : القصد الجنائى .

● أما الرجوع عن الإسلام فيكون بترك الإسلام بمظاهر تدل على ذلك لا تحتمل التأويل سواء كان ذلك بالقول أو الفعل أو الامتناع عن فعل .

فيكون بالقول بأن يصدر قول من الشخص يتضمن إنكار أمر من أمور الاعتقاد الثابتة بدليل قطعى كإنكار وحدانية الله أو إنكار أن القرآن مُنَزَّلٌ من عند الله سبحانه .

ويكون بالفعل بأن يأتى بفعل يُحَرِّمُهُ الإسلام تعمدًا أو استخفافًا به أو عنادًا ومكابرة كالسجود لغير الله تعالى وإتيان المحرمات مع استحلال إتيانها كاستحلال الزنا وشرب الخمر .

ويكون بالامتناع بأن يمتنع الشخص عن فعل يوجبه الإسلام كالامتناع عن أداء الصلاة والزكاة أو الحج منكرًا لها .

وقد اتفق العلماء على أنه لا يفتى بردة مسلم إذا فعل فعلاً أو قال قولاً يحتمل الكفر ويحتمل غيره .

---

(١) **البقرة /٢١٧** .

● وأما الركن الثانى من أركان جريمة الردة فهو القصد الجنائى لأن الردة جريمة عمدية يستلزم وجودها توافر القصد الجنائى لدى الجانى .

ويتوافر هذا القصد إذا كان يعلم أن ما فعله أو قاله أو امتنع عامدًا عن فعله يؤدى إلى الكفر فإذا انتفى هذا العلم لا يتوافر القصد الجنائى .

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أنه يكفى لتوافر هذا القصد الجنائى أن يأتى الجانى الفعل أو القول الكفرى استخفافاً أو عنادًا أو تحقيرًا ولو لم يصاحب ذلك نية الكفر .

وتثبت جريمة الردة بأمرين هما : الإقرار وشهادة الشهود فالإقرار حجة على المقر وتثبت به الجريمة كما تثبت أيضاً بشهادة رجلين عدلين ويجب أن يُفَصِّل الشاهد فى شهادته فيوضح ما نسب إلى الجانى ويعتبر كفرًا ليتسنى للقاضى تكييف ذلك[1].

وأما ربط بعض الناس بين تطبيق حد الردة وبين حرية العقيدة بدعوى أن إعدام المرتد منافٍ لمبدأ حرية العقيدة . فهذه شبهة مردودة لأن الردة هى خروج المسلم عن دين الإسلام إلى دين آخر أو إلى غير دين وهذا أمر غير جائز حسب أحكام الشريعة الإسلامية .

وقد قال الماوردى فى الأحكام السلطانية : « الحكم الشرعى بأن الاقرار بالحق يوجب التزام أحكامه والحق هنا هو الإسلام وأحكام الإسلام لا تبيح الردة ، وتعد الردة جريمة يعاقب مرتكبها بالإعدام وينفذ فيه الحكم بعد أن يمهل ثلاثة أيام ليستتاب فيها أى يطلب إليه العودة إلى الإسلام فإن أصَرَّ على ردته أُعدم » .

هذا وقد أجمع المسلمون فى صدر الإسلام على إعدام المرتد .. وَقَاتَلَ أبو بكر المرتدين وأعلن الحرب عليهم وقضى على بن أبى طالب بإعدام المرتد .

ومن جهة أخرى فإن الإسلام ليس مجرد عقيدة وإنما هو عقيدة وشريعة هو دين ودولة ومن شأن الردة أن تؤثر على كيان الدولة وأن الردة تنطوى

---

(١) المستشار محمد بهجت عتيبة – الفقه الجنائى الإسلامى .

على الإساءة إلى الإسلام بل إنها فى بعض صورها قد ترادف جريمة الخيانة العظمى وهى جريمة عقابها الإعدام فى التشريع الحديث .

وقد لجأ اليهود فى عهد النبى – ﷺ – إلى هذا الأسلوب بالدخول فى الدين جماعة ثم الخروج منه بقصد الإساءة إليه وفيهم نزلت الآية الكريمة : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وَجْهَ النَّهَار واكفروا آخره لعلهم يرجعون** ﴾[1].

فحد الردة فى الإسلام له وجاهته وقد جاء حماية للدين من المتلاعبين به ولا يتناقض على الإطلاق مع مبدأ حرية العقيدة الذى قَرَّرَهُ الإسلام »[2].

* ☐ * ☐ *

---

(١) آل عمران /٧٢ .

(٢) المستشار عمر شريف – مرجع سابق .

المبحث الثانى

حرية الفكر والرأى

حرية الفكر والرأى تعنى حرية الإنسان فى التفكير والبحث وإبداء رأيه والتعبير عنه بكافة الوسائل .

وقد كفل الإسلام هذه الحرية بل أنها لم تكن فى نظر التشريع مجرد حق للفرد وإنما ترقى فى بعض الأحيان إلى مستوى الواجب الذى عليه أن يقوم به .

وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية حافلة بما يؤكد هذه الحرية فالقرآن يدعو الناس إلى النظر والتفكير فى خلق السموات والأرض ، ويدعو الناس إلى أن يُبدوا رأيهم أى يكون دورهم إيجابياً فى هذا المجال قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾[2].

ويؤكد الرسول – ﷺ – على هذا المبدأ حين يقرر بأن الدين النصيحة وبأن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

ولا يقيد الإسلام الاجتهاد والرأى فى المسائل الدينية إلا بما وَرَدَ فى التشريع الإسلامى من أحكام قَطْعِيَّة وأصول ومبادىء عامة تعتبر من أركان الدين والشريعة ولا تقيد الرأى فى المسائل الدنيوية إلا بعدم الوصول إلى حد ارتكاب الجريمة والدعوة إلى الفتنة[3].

وهذه الحرية مكفولة للجميع مسلمين وأهل كتاب مادامت لا تحمل على الفوضى أو تشير إلى الفساد والإفساد أو تكون إرادة لهدم أسس الإسلام التى جاء بها الشرع الحقيقى أو معاداة له أو محاولة لفرضه بالقوة وبما يتعارض مع

---

(١) آل عمران /١٠٤ . (٢) النحل /١٢٥ .

(٣) المستشار عمر شريف – مرجع سابق .

نظام المجتمع والذى يعد مجموعة من الأسس والدعامات التى يقوم عليها بناء الجماعة وكيانها ولا يتصور بقاء هذا الكيان من خلال آراء هدامة أو مغرضة قائمة على غير حق أو سند[1].

فالإسلام لا يضع قيدًا على حرية الفكر إلا حماية للدين باعتباره أول الضرورات للإنسان فلا يتقيد فكره إلا حماية للعقيدة الإسلامية فى أصولها التى تقوم عليها وإذا نظرنا إلى المسألة نظرةصادقة وجدنا أن الفكر الإسلامى غير مقيد لأن المسلم هو من يسلم بمعطيات الإسلام الأساسية فى العقيدة والشريعة وبغير ذلك لا يكون مسلمًا ويستطيع المسلم بعد ذلك أن يفكر كما يريد وأن يتفكر فى أوسع المجالات ، وله بل عليه أن يتفكر فى خلق السموات والأرض وفى خلق الله جميعاً وأن يعرض ذلك على عقله وأن يتناوله من أوسع الجوانب .

ويتعلق بحرية الفكر حرية الرأى لأن إبداء الرأى هو إعلان للفكر وبداية لتأثيره فى الناس داخل المجتمع ومادمنا قد سَلَّمنا بأنه ليس هناك محظورات فى مجال الفكر إلا ما يقصد منه هدم الدين وهو أساس الدولة فقد سلمنا بأن من حق المواطن المسلم أن يعلن رأيه فيما يكون من مشاكل الناس والمجتمع الذى يعيش فيه .

حدود حرية الفكر والرأى

ولقد درجت القوانين والدساتير الوضعية على أن تنص على حرية الفكر والرأى ثم تعقب عليها بأن هذه الحرية فى حدود القانون أو أن القانون ينظم حرية الرأى ومعنى ذلك أن مبدأ حرية الفكر والرأى يترك لتنظيم وضعى يضيق ويتسع بحسب المصلحة على أكثر تقدير وبحسب الهوى والغرض فى بعض الأحيان .

أما حدود حرية الفكر والرأى فى الإسلام وعند المسلمين فهى مقيدة بالحفاظ على أركان الدين وهو أساس الدولة فليس من حق شخص يَدَّعِى أنه يفكر ثم يصل بتفكيره هذا إلى نفى الألوهية أو الرسالات السماوية أو الطعن فيما هو مُسَلَّمٌ به من الدين ويعلن ذلك على الناس .

(١) د . منيب محمد ربيع – ضمانات الحرية فى النظام الإسلامى .

فالإسلام لا يسمح بذلك تحت أى اسم أو فى أية حال فالمعتقدات الأصلية فى الإسلام والأصول المقررة فى الشريعة ينبغى أن تكون فى الدولة الإسلامية فوق حرية الفكر وحرية الرأى وليس هذا قيدًا على الحرية وإنما هو ضمان أكيد لهذه الحرية وفيما وراء ذلك يستطيع المفكر أن يدلى بما شاء فى شئون الدين – وهو آمن – ويستطيع كل شخص أن يعلن رأيه فى نظم الحكم ومسائل السياسة والاقتصاد والحرب والسلم وغيرها وهو فى ذلك لا يمكن أن تقيد حريته لأن ذلك حق أعطاه له الشرع ولا يخضع إلا لمقاييس الشرع ولا يستطيع هوى الحاكم أو مصلحته أن يُغيِّر منه شيئاً[1].



(١) د / جمال الدين محمود – أصول المجتمع الإسلامى – مرجع سابق .

الفصل الثالث

المحاكمة
من البداية إلى النهاية



المحاكمة
من البداية إلى النهاية

بدأت قصة محاكمة علاء حامد على روايته « مسافة فى عقل رجل .. محاكمة الإله » فى ٣ مارس ١٩٩٠ م عندما كتب الأستاذ **أحمد بهجت** فى ركنه « **صندوق الدنيا** » بجريدة الأهرام المصرية مقالاً تحت عنوان « سلمان رشدى آخر » قال فيه : « وها هو سلمان رشدى آخر يظهر فى مصر ، مؤلف روائى يزعم أن ما كتبه قصة امتزج فيها فيض الخيال بنبض الفكر ، اسم الرواية « مسافة فى عقل رجل » أو « محاكمة الإله » واسم المؤلف « علاء حامد » وليس هناك اسم لدار النشر أو المطبعة .

وفى الرواية إلحاد وتطاول على الذات الإلهية وسخرية من الأنبياء والرسل واستهزاء بالجنة والنار وتكذيب صريح للكتب المُنَزَّلة وهجوم عليها .

والكتاب يبدأ برحلة مؤلفه إلى الجنة حيث يكتشف أنها جنة اللذَّة الحسية وهو يقابل آدم فيسخر منه ومن خطيئته ويقابل موسى ويأخذ عصاه ويضرب بها الجدول وهو يقول « جلا جلا جلا » « كالحواه » فلا الماء ينشق ولا العصا تلد حية ولا ثعبانا ولا حتى سحلية ، وهو يقابل نوح الذى جلس أمام حوض من الماء وقد صنع سفينة من الورق وراح يلعب بها فى الماء وهو يلخص هذيانه وهراءه فى نهاية الكتاب بقوله : إن الطقوس الدينية تبدأ من الوقوف على حائط لتنتهى بالدوران حول مبنى وحتى لحظتنا هذه لم يتأكد للبشرية أن الله استجاب لدعوة إنسان وأرسل إلى جائع مائدة طعام أو أرسل إلى مُعْدَمٍ مليون جنيه ذهباً أو ورقاً ولا حتى مليون جنيه صفيحاً ... لم يتأكد للبشرية على مدى ملايين السنين ما قيل عن معجزات الأنبياء والرسل وأعاجيب السحرة وخوارق العفاريت ، ولم يحدث فى عصور النهضة حدث واحد يؤكد ما سبق أن توارثناه من عقائد بالية وخرافات مهلهلة ، لماذا توقف فجأة بعث الأنبياء والرسل ، لماذا لم تتكرر الخوارق ليرسل الله خروفاً مشوياً كما أرسل لإبراهيم لماذا توقفت الذات العلية عن إيفاد ملائكتها وبعث الأنبياء وقد أصبح الكفر سِمَةَ العصر ، فالكثرة الغالبة لا تدين الآن إلا بالعلم أما القلة القليلة التى تؤمن بالإيمان فهى فى الحضيض وفى الوحل ، لماذا لا يرسل الله إليهم رسله ؟

لسبب بسيط جدًا لأن الله لم يُرسل فى وقت من الأوقات رسلاً ولن يفعل فالرسل من صنع الناس ، والإنسان الذى يؤمن بالغيبيات هو إنسان مريض على المجتمع أن يقيم له مصحة نفسية يعالج بها .

هذا بعض ما يَضُمُّه الكتاب من هذيان وتطاول على المقدسات ولا علاقة للكتاب بالأدب أو الفن إنما هو جريمة نضعها تحت نظر المجتمع والنيابة العامة .

● وفى ٧ مارس ١٩٩٠ م أرسل المستشار **رفعت عبد المنعم إبراهيم** رئيس هيئة النيابة الإدارية خطاباً إلى أ . أحمد بهجت نشره فى بابه « صندوق الدنيا » يقول الخطاب : الأخ الفاضل العزيز الأستاذ أحمد بهجت ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد اطلعنا على ما ورد ببابكم اليومى « صندوق الدنيا » فى جريدة الأهرام يوم السبت ١٩٩٠/٣/٣ م تحت عنوان « سلمان رشدى آخر » ونود الإحاطة أنه بمناسبة التحقيق الذى أجرته النيابة الإدارية مع السيد علاء حامد المفتش بالإدارة العامة للجان الطعن بمصلحة الضرائب فى إحدى القضايا أثيرت واقعة تأليفه كتابًا بعنوان « مسافة فى عقل رجل » تضمن مَسَاسًا شديدًا بالمعتقدات الأساسية للمجتمع وعلى وجه الخصوص تلك المتصلة بذات الله سبحانه وتعالى وبالأديان السماوية وبالرسل والأنبياء والبعث واليوم الآخر مما يعد خروجًا على النظام العام للدولة وتحريضاً على الإلحاد والإنحلال الأمر الذى يشكل ذنبًا تأديبياً قوامه الإخلال الخطير بواجبات الوظيفة والخروج على مقتضياتها وينطوى فى ذات الوقت على جريمة عامة .

ورغم ذلك فإن النيابة الإدارية لم تشأ أن تستقل بتقدير مدى خطورة ما تضمنه ذلك الكتاب فقامت فى ١٩٨٩/١٠/٣١ م بالكتابة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر للتنبيه بفحص الكتاب المذكور للوقوف على حكم الدين فيما ورد به واتخاذ ما يلزم من إجراءات فى شأن النسخ المتداولة منه بالأسواق على ضوء ما ينتهى إليه الفحص وإرجاء البَتِّ فى مسئولية مؤلف الكتاب إلى ما بعد ورود تقرير شيخ الأزهر الذى لم يرد بعد .

رجاء التفضل بالإحاطة ، وتقبلوا وافر التحية وخالص التقدير .

رئيس هيئة النيابة الإدارية

مستشار رفعت عبد المنعم إبراهيم

وقد علق أ . أحمد بهجت على الخطاب قائلاً :

« هذا هو الخطاب الذى وصل إلىَّ من المستشار رفعت عبد المنعم إبراهيم ونحن نرجو من شيخ الأزهر أن يسارع ببيان موقف الأزهر من كتاب ينطوى على خروج على النظام العام للدولة وينطوى على خروج على الآداب العامة وينطوى على دعوة للإلحاد والانحلال وهو كتاب يتداول فى الأسواق » .

لجنة عليا من الأزهر لدراسة الكتاب

● وفى ١٤/٣/١٩٩٠ م نشرت جريدة **النور** تحت عنوان « **سلمان رشدى المصرى أمام المحكمة التـأديبية** ... لجنة من علماء الأزهر لدراسة الكتاب » تقول :

« أحالت هيئة النيابة الإدارية برئاسة المستشار رفعت عبد المنعم إبراهيم « علاء حامد » مؤلف كتاب « مسافة فى عقل رجل » إلى المحكمة التأديبية العُلْيَا وذلك لأن الكتاب تضمن مساسًا شديدًا بالأديان والمعتقدات الأساسية للمجتمع وبه قدح فى الذات الإلهية والرسل والأنبياء مما يعد خروجًا على النظام العام للدولة وتحريضاً على الإلحاد والانحلال وأنه اسوأ من كتاب « آيات شيطانية » الذى أصدره الكاتب المارق سلمان رشدى .

ومن ناحية أخرى صَرَّحَ فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق بأنه أصدر قراراً بتشكيل لجنة عليا من عدد من علماء مجمع البحوث الإسلامية لدراسة ما ورد بالكتاب ، وأضاف أن الأزهر سيتخذ إجراءً سريعًا وذلك عقب انتهاء اللجنة من دراسته وإعلان رأيها .

معاقبة المؤلف ومصادرة الكتاب

● وفى ٢١ مارس ١٩٩٠ م نشرت جريدة « **الأخبار** » تحت عنوان : « الأزهر يطالب بمعاقبة المؤلف المصرى للآيات الشيطانية الجديدة » تقول :

أكَّدَ **مجمع البحوث الإسلامية** على أن دستور مصر كفل حرية العقيدة والفكر للشخص فى ذاته بشرط ألا يتعدى هذا الفكر فيضر بالهيئة الاجتماعية أو بالأساس الاجتماعى للوطن وأشار إلى أن القانون لا يسمح بنشر الفكر إذا

تضمن ما يهدم نظامًا من النظم الأساسية للمجتمع أو كان يزدرى أحد الأديان السماوية أو يسىء إليها أو يضر بالوحدة الوطنية أو بالسلام الاجتماعى .

جاء هذا فى الرسالة التى أرسلها مجمع البحوث الإسلامية إلى النيابة الإدارية ردًّا على كتاب « آيات شبطانية المصرى » والذى ألفه شخص يُدْعى علاء حامد والمحبوس حالياً على ذمة التحقيق الذى تجريه معه النيابة العامة حول هذا الكتاب والذى صدر أمر بمصادرته .

وأشار مجمع البحوث فى رده على هذا الكتاب إلى أنه يعد ترويجاً وتحبيذاً بالكتابة لآراء متطرفة وهدامة بقصد إثارة الفتنة وتحقير وازدراء الأديان السماوية وأنبيائها وخاصة دين الإسلام وكذلك الطوائف المنتمية لهذا الدين ولغيره من الأديان ، كما دعا إلى ما يؤدى للإضرار بالوحدة الوطنية .

وأضاف أن هذا الكتاب يمثل اعتداء من مؤلفه على الأصول الدينية للإسلام واتجه إليها بالازدراء واعتدى على القرآن وادَّعَى أنه من صنع البشر كما تهكم على النبى محمد - ﷺ - وعلى عدد من الأنبياء وتهكم بالرموز الإسلامية من علماء ، وشعائر ، وعقائد ..

وطالب الأزهر بمعاقبة مؤلف الكتاب طبقاً لأحكام قانون العقوبات المصرى والذى يحرم مثل هذا التصرف .

وكانت النيابة قد صادرت أمس الأول ٣٠٠ نسخة من الكتاب بخلاف ٤٠٠ نسخة كانت مُعَدَّة لتهريبها للمحافظات .

● وفى ٣١ مارس ١٩٩٠ م نشرت جريدة « **الجمهورية** » تحقيقاً صحفياً كاملاً حول الكتاب ومؤلفه تحت عدة عناوين منها : ماذا قالوا عن المؤلف المحبوس « مسافة فى عقل رجل » ؟

القانون : المؤلف تجاوز حدود الحرية .

الديـــن : عقابه على الله .

الأدباء : مؤلف للشهرة .

قالت الجريدة فى هذا التحقيق : أثار صدور كتاب « مسافة فى عقل رجل » الذى أَلَّفه علاء حامد مدير تفتيش لجان الطعون بمصلحة الضرائب

عدة تساؤلات بعد قرار النيابة العامة بحبسه وقرار النيابة الإدارية بمحاكمته تأديبياً .

الكتاب تهكم على الأديان السماوية وعلى الرسل والأنبياء ، أنكر الأديان والعقائد الدينية بصفة خاصة ، ذكر المؤلف أنه مسلم بالميراث ولو ولد من صلب ملحد لأصبح ملحدًا .

وجاء بالكتاب : ما جدوى الأديان وقد ارتفعت هامات شعوب ملحدة إلى قمة الحضارة وانقلب الحال فأصبح الدين سبة فى تواريخ الشعوب ، وأن جميع الرسالات ليست إلا من صنع البشر وأن أصحابها تداولوها بدعوى أنها إلهية وعلى هذا فتصبح صلة الرسل بالله صلة افتراضية لا تدعمها حقيقة ولا يسندها برهان .

لقد عجزت الأديان عن تفسير علمى مُقْنِعٌ وأذابت العقل الإنسانى فى محلول حمضى مركز من الخرافات كما أنكر المؤلف الرسل والأنبياء وسخر منهم وبهم وتساءل ما هى هويتهم ؟ ومن هم ؟ كما أنكر أيضاً البعث والحياة الأخرى وقال : أن الإله هو الناس وأن المعجزات خداع للبشر .

وبهذا الكتاب أصبح مؤلفه مرتدًا عن دين الإسلام ولكن هل يطبق عليه ما يوجب على المرتد ؟ وما هو العقاب الذى يوجبه الشرع والمجتمع ؟

الدستور وحرية العقيدة والفكر

ومضت الصحيفة تقول : وقد أكد المستشار رفعت عبد المنعم إبراهيم أن الدستور كفل حرية الفكر والعقيدة ولكن المقصود بذلك هو حرية الفكر والعقيدة للفرد فى ذاته وفى نطاق اعتقاده الشخصى أما وقد تَعَدَّى المؤلف ذلك بالتطاول جهرًا وعلانية على الأديان والدعوة ضدها والترويج لانتهاك حرمتها والسخرية منها والمساس بالمعتقدات والخروج على القيم الأساسية للمجتمع فإنه يكون بسلوكه هذا قد تجاوز حدود الحرية المتاحة إلى الفوضى والإخلال بالنظام العام للدولة على نحو يستوجب مساءلته مما يفقده الصلاحية فى البقاء فى وظيفته .

وأوضح المستشار أن السلوك الشخصى للعامل وتصرفاته فى حياته الخاصة بعيدًا عن مجال الوظيفة ينعكس على سلوكه العام فى مجال الوظيفة ذاته من حيث الإخلال بكرامتها ومقتضياتها إذ لا يوجد عازل سميك بين الحياة العامة والخاصة يمنع كل تأثير متبادل بينهما .

ولذلك إذا أتى العامل فى تصرفاته الخاصة أفعالاً شائنة تعيبه وتزعزع الاطمئنان إلى إستقامته أو إذا سلك مسلكاً سيئاً فإن ذلك من شأنه الخروج على مقتضيات الوظيفة وهذا المؤلف بذلك يكون قد أخل بواجبه الوظيفى وأهدر المعتقدات والقيم الأساسية التى يقوم عليها النظام العام للدولة وهدم النظام الأساسى للمجتمع وأضر بالوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى وأثار الفتنة الطائفية .

وقال الدكتور **السيد رزق الطويل** عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر فى هذا التحقيق الذى نشرته « الجمهورية » : إن مؤلف الكتاب انسلخ من الإيمان بالإسلام وليس فى قلبه أى قدر من الإيمان وبالتالى لا يوجد لديه أى ولاء وأصبح مصدر خطر فمن حق المجتمع المسلم أن يتصرف معه كما يشاء فهو قد أصبح غير أمين فى عمله ويجب أن تغلب المصلحة العامة على الجانب الإنسانى ولا مانع من فصله من عمله .

وأضاف أن المؤلف أصبح فى حكم المرتد ولكن هناك قلة من الفقهاء يقولون بأن قتل المرتد كان فى عهد النبى - ﷺ - لأن الردة اقترنت بمقاومة وقتل واعتداء على الآخرين أما إذا كانت مثل حالة هذا المؤلف بدون قتل فإن وزره على نفسه وعقابه على الله ولا يُنَفَّذ فيه حد الردة .

وقال الكاتب **ثروت أباظة** : إننى أرى الامتناع عن الكلام عن هذا المؤلف امتناعًا تامًا فإن هدفه من هذا الكتاب هو أن يحقق الشهرة على حساب الله وسيخزيه الله .

وأضاف أن كل حرية لها حدود والاعتداء على مشاعر الإيمان عند الناس لا يدخل ضمن هذه الحرية لأن هذا عدوان على الجماعة والحرية لا تبيح هذا .

● وفى ٢٦ مارس ١٩٩٠ م نشرت **جريدة السياسة** الكويتية موضوعًا عن

علاء حامد تحت عنوان : « **مصادرة وإعدام نسخ الكتاب** » « **آيات شيطانية على الطريقة المصرية** » ، قالت فيه : فى يوم وليلة انقلبت الأوساط الثقافية والأدبية رأسًا على عقب وأخذت توجه الدعوة تلو الأخرى لمناقشة هذا المؤلف الذى قلب الأوضاع وَشَكَّلَ محورًا للهجوم على كل العلمانيين وبدأت التيارات السياسية الإسلامية خاصة المتطرفة منها فى تكثيف الرصد لمطاردة المؤلف ليس بالاغتيال فقط ولكن بالحرق أيضاً لأنه ملحد .

وكان أحد الكتاب الصحفيين المشهورين بالجمود اليومى « تقصد بذلك أحمد بهجت » قد طرح موضوع هذا الكتاب « مسافة فى عقل رجل » وعلى الرغم من صدوره منذ عامين إلا أنه فرض نفسه بمجرد أن قرأه الذى وجد فيه عبارات على درجة كبيرة من الخطورة وطالب جميع الجهات الثقافية والأمنية والدينية بالتحرك لوقف هذا المؤلف الذى يشبهه بكتاب سلمان رشدى « آيات شيطانية » .

وفور نشر مقال الصحفى تحركت الجهات الرسمية تجاه الآيات الشيطانية الذى صدر على الطريقة المصرية .

وقد التقت الجريدة أثناء التحقيقات – على حد قولها – مع المؤلف علاء حامد الذى قَرَّرَ أن الجميع متحاملون عليه وأنه ليس جديدًا فى الأوساط الأدبية والثقافية وسبق له تأليف روايات بعنوان : « حائط الوهم » و« رجل داخل مثلث » و« الحقيقة الضائعة » و« طربوش الزعيم » و« اثنان فى حجرة مغلقة » و« على جناح طائر » و« بصمات فوق الماء » و« الساق المستحيلة » و« القرد والأسورة » والكتاب محل التحقيق « مسافة فى عقل رجل » وهناك مؤلفات تحت الطبع منها « الفراش » و« المحجبة تحب البطاطا » و« اغتصاب الآنسة رجاء » و« الأبناء يدفعون الثمن » و« الرئيس فى المنفى » .

وقد استطلعت الجريدة آراء بعض المثقفين حول هذه الرواية وانقسمت الآراء إلى قسمين :

الأول : يرى أنه يجب أن تطلق الأفكار دون أى مصادرة وفقاً لأحكام الدستور الذى ينص على حرية الفكر والعقيدة .

والثانى : يرى أن الكتاب أو الرواية دعوة للإلحاد ولذا يجب مطاردته بحكم ما جاء بالقرآن الكريم ، ويجب عدم الاكتفاء بالمصادرة والحبس ولكن يجب إصدار ميثاق شرف ألا تتعرض المؤلفات لأى شطحات شيطانية .

وذكرت الصحيفة أن علاء حامد فوجىء وهو داخل محبسه فى سجن طره بفتوى صدرت من الشيخ **عمر عبد الرحمن** مفتى الجماعات الإسلامية والناطق بلسان تنظيم الجهاد بقتل هذا الشيطان وحرق كل مطبوعاته وعلى الفور سارعت أجهزة الأمن إلى تعيين حراسة مُشَدَّدة على منزل المؤلف فى منطقة منيل الروضة والناشر ومكتبته فى ميدان طلعت حرب .

وقال الصحيفة : وآخر مطبوعات المؤلف الشيطانى علاء حامد والتى لم تر النور جاءت بعنوان : « الفراش » وهى مجموعة قصصية قصيرة تحت مُسَمَّيات عاهرة وتتضمن عبارات خارجة عن الآداب العامة وقد تلقفتها جهات الأمن التى تتولى الحفاظ على الآداب والأخلاقيات وتمت مصادرة الكتاب الجديد .



محاكمة تأديبية للمؤلف

● ونشرت **جريدة الأهرام** المصرية فى ٢٨ مارس ١٩٩٠ م تحت عنوان : « محاكمة تأديبية لموظف بمصلحة الضرائب ألف كتاباً ينكر الأديان ويحرض على الإلحاد » .

تقول : قَرَّرَ المستشار رفعت عبد المنعم رئيس هيئة النيابة الإدارية إحالة موظف بمصلحة الضرائب إلى المحاكمة التأديبية لتأليفه كتاباً ينكر الأديان السماوية والرسل ويحرض على الإلحاد .

وكانت **وفاء أحمد عبد العزيز** الموظفة بمصلحة الضرائب قد تقدمت بشكوى للنيابة الإدارية تتضرر فيها من اضطهاد رئيسها فى العمل لها وَيُدْعَى علاء حامد وذكرت أنه أَلَّفَ كتاباً مخالفاً للأديان بعنوان « مسافة فى عقل رجل » يقع فى ٢٣٩ صفحة يتم توزيعه منذ فترة طويلة وأرفقت الشاكية نسخة من الكتاب إلى النيابة الإدارية وبمواجهة المؤلف قال إن الدستور يكفل حرية العقيدة والفكر لكل مواطن وأنه معتمد كمؤلف درامى بالإذاعة منذ عام ١٩٨٠ م بجانب عمله بالضرائب وأنه يقوم بكتابة أعمال تليفزيونية لبعض الدول العربية .

وقد تم إرسال نسخة من الكتاب إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر للوقوف على رأى الدين فيما ورد بالكتاب فجاء تقرير مجمع البحوث الإسلامية بأن الكتاب يعد ترويجاً لأفكار تخريبية تنطوى على تحقير وازدراء الأديان والرسل والكتب السماوية ويحرض على الإلحاد والفساد .

وإن الكتاب لا تختلف أحكام الدين أو الأحكام القانونية فى تجريمه .

ولذا قَرَّرَت النيابة إحالة الموظف إلى المحاكمة التأديبية للنظر فى فصله من العمل مع توصية تَمَّ رفعها إلى إتحاد الإذاعة والتليفزيون بعدم التعامل معه منعاً لانتشار أفكاره المسمومة بين الجماهير .

السجن ثماني سنوات

● وفى ٣٠ أبريل ١٩٩٠ م نشرت **جريدة الأخبار** خبر إحالة علاء حامد إلى المحاكمة أمام محكمة أمن الدولة الجزئية فقالت فى الخبر : أمر المستشار محمود يونس المحامى العام لجنوب القاهرة بإحالة المؤلف علاء حامد إلى محكمة أمن الدولة الجزئية ، وكان المتهم قد قام بتأليف رواية « مسافة فى عقل رجل » وطالب الأزهر الشريف بمصادرتها ومحاكمة مؤلفها لسخريتها بأنبياء الله وكتبه السماوية ، وأدانته نيابة مصر القديمة فى التحقيقات التى أجراها أحمد صلاح وكيل أول النيابة تحت إشراف **جمال عبد اللاه** رئيس النيابة .

وفى ٢٧ ديسمبر ١٩٩١ م نشرت **جريدة الأهرام** خبر الحكم على المؤلف والناشر تحت عنوان : **٨ سنوات سجناً لمؤلف وناشر كتاب مسافة فى عقل رجل لإساءته للأنبياء .**

قال الخبر : قضت محكمة أمن الدولة العليا طوارئ أمس **بالحكم بالسجن لمدة ٨ سنوات على كل من المؤلف علاء حامد مؤلف كتاب « مسافة فى عقل رجل » وصاحب مكتبة مدبولى باعتباره ناشر الكتاب .**

وكانت النيابة قد أحالت المتهمين للمحاكمة نظرًا لما تضمنه الكتاب المنشور من إساءة للأنبياء والرسل .



رئيس الجمهورية يرفض إلغاء الحكم

● وبعد صدور حكم القضاء بالسجن على علاء حامد نشرت جريدة « **اللواء الإسلامى** » فى عددها الصادر يوم الخميس ٤ رجب ١٤١٢ هـ – ٩ يناير ١٩٩٢ م **رفض الرئيس مبارك إلغاء الحكم القضائى الذى صدر ضد علاء حامد وقالت الصحيفة** : « من منطلق إيمانه الراسخ وغيرته على الإسلام **قال الرئيس حسنى مبارك : لا أستطيع إلغاء حكم قضائى لشخص أهان الدين ، وقال إن الحفاظ على العقيدة شيء مُقَدَّسٌ** .

وقال فى حواره مع الأدباء والكتاب بمعرض القاهرة الدولى للكتاب : **إن الحكم الذى صدر ضد الكاتب أصدره قاض وإذا كان هناك من يقول اعفه من الحكم أقول له : آسف لا نستطيع أن ننسى القانون فقد أصدر القاضى الحكم وإذا كان هناك خطأ فى القانون فسوف ننظره وهناك جهات مسئولة عن ذلك .. ولكن الإعفاء من الحكم مستحيل ولابد من احترام الأديان** » .



الشعراوى يشيد بموقف الرئيس

وفى نفس العدد من جريدة **اللواء الإسلامى** أشاد فضيلة الشيخ **محمد متولى الشعراوى** بموقف **الرئيس مبارك** وحيا فيه غيرته على الإسلام **وقال** : إن موقفه من الذين أهانوا الدين هو موقف حاكم مسلم يرفض أى مساس بالإسلام .

وأكد أن الأمة الإسلامية كلها تؤيد **الرئيس مبارك** على رفضه إلغاء حكم قضائى صدر ضد شخص شتم الرسول وَسَبَّ الأنبياء .

وقال **الشيخ الشعراوى** فى حوار طويل أجرته معه الجريدة : أن الله سبحانه أراد أن يفضح نوايا كل المدافعين عن الباطل تجاه دينه وأبلغ رد ألا نلتفت إليهم .

أما حكاية حرية الفكر التى يرددونها فلا تكون إلا مع فكر مساوٍ والله أراد أن يعصمنا من الهوى فأنزل دينه .

وشدَّدَ **الشيخ الشعراوى** على أحقية الأزهر فى الحكم على كل عمل يمس دين الله حتى لا يصبح الأمر فوضى .

وقال : إن الخطر ليس فيما يقال لأنهم ينعقون كما ينعق الغراب ولكن الخطر هل هناك مصدق لما يقولون ؟... والواجب على كل مسلم أن يقاطع ما يُرَوِّجُهُ المنحرفون وأن يظهر سخطه تجاهه .. فالحق سبحانه يقول فى سورة النساء : ﴿ **وقد نَزَّلَ عليكم فى الكتاب أَنْ إذا سمعتم آيات الله يُكْفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديثٍ غيره إنكم إذن مثلهم** ﴾[1] ويقول فى سورة الأنعام : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما يُنسِيَنَّكَ الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾[2].

ولكن كيف تأتى المقاطعة الإسلامية ؟

---

(١) النساء/ ١٤٠ . (٢) الأنعام/ ٦٨ .

القانون المدنى حين يجرم واحدًا من المجتمع يحبسه ليعزله عن المجتمع والإسلام لا يفعل ذلك بل يحبس المجتمع كله عنه . الجانى حر ولكن المجنى عليه وهو المجتمع محبوس عنه وهذا أشد أنواع المقاطعة .

وقد فعل الرسول – ﷺ – ذلك مع الثلاثة المخلفين حبس المجتمع الواسع عنهم ، ليس المجتمع الواسع فقط بل حبس عنهم أخص ما فى المجتمع الخاص وهى زوجته ، وانظر كيف حالُ من لا يجد حتى زوجته تتعامل معه ؟

لذلك وصف القرآن حال من قاطعتهم الأمة فقال فى الثلاثة المخلفين : **﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾**[1].

وفى **جريدة الأخبار** الصادرة فى ١٠ يناير ١٩٩٢ م طالب **الشيخ الشعراوى** الأدباء والكتاب والفنانين باحترام الدين والمقدسات الدينية ولفت نظرهم إلى أن الأديان يجب أن تكون بعيدة عن الاجتهادات الفكرية والتأويلات المتهافتة والعشوائية .

وقال : إن بعض الأدباء والكُتَّاب انساقوا وراء المستشرقين ودعاة التغريب واتخذوا من الهجوم على الدين وسيلة للشهرة والحصول على الأموال بعد ظاهرة سلمان رشدى وآياته الشيطانية والشهرة التى نالها والأرباح التى حصل عليها .

وأشاد **الشيخ الشعراوى** بحكم القضاء وقال إنه جاء عادلاً ورادعًا حتى لا تنتشر فى بلادنا ظاهرة التهجم على الأديان ويصبح الدين كلأً مباحًا لكل من هب ودب .. يهاجمه ويبدى فيه رأيه . ويجب أن يعرف الأدباء والكتاب والمفكرون أن الدين وحقائقه يجب أن يكون بعيدًا عن حرية الرأى والفكر ، وأن العقل حر فى التفكير وإبداء الرأى فى الأمور الدنيوية التى يوجد فيها اختيار بين البدائل أما الدين – أى دين سماوى – فله قدسيته التى يجب أن نصونها ونحافظ عليها .

---

(١) **التوبة** /١١٨ .

المفتى يرد

ولقد سبق أن رَدَّ الدكتور **محمد سيد طنطاوى** مفتى الجمهورية على كل من **عبد الستار الطويلة ولطفى الخولى** عندما أثاروا قضية محاكمة علاء حامد فى لقاء **الرئيس مبارك** بالأدباء والمفكرين بعد افتتاحه لمعرض الكتاب حيث **قال المفتى** : نحن نعلم جميعاً أن الشرائع السماوية كلها أعطت الإنسان الحرية الكاملة فيما يتعلق بما تجب فيه الحرية أما الأمور التى ثبتت من الدين بالضرورة وأجمعت الشرائع السماوية على احترامها وعلى أنها من عند الله كالعقائد والعبادات فيجب أن نلتزم بها جميعاً ولا نخرج عنها لأنها من عند الله الذى لم يكلفنا إلا بما فيه سعادتنا فى دنيانا وآخرتنا ، والقول بأن الإنسان حُرٌّ فى أن يتكلم كما يشاء فذلك فى حدود ما حددته العقائد والعبادات والقوانين التى نلتزم بطاعتها وعدم الخروج عليها .

ألا فى الفتنة سقطوا

● ولقد انفعل بقضية علاء حامد وتهجمه على الأديان ودفاع بعض العلمانيين والشيوعيين عنه تحت دعوى حرية الفكر والعقيدة مجموعة من الكتاب الإسلاميين فكتب **عبد المنعم قنديل** رئيس تحرير جريدة **اللواء الإسلامى** فى عدد الجريدة الصادر فى ٤ رجب ١٤١٢ هـ – ٩ يناير ١٩٩٢ م مقالاً تحت عنوان : « **ألا فى الفتنة سقطوا** » يقول : كان شيئاً مخزياً ومخجلاً ومثيرًا للتقزز أن يتصدى أناس للدفاع عن زنديق سب الرسل وتهكم على الأديان واحتقر المقدسات وتقاضى ثمن زندقته من أعداء الإسلام الذين عجزوا عن إطفاء نوره فلجئوا إلى الملاحدة والزنادقة والشائهين فكرياً ليتخذوا منهم سلاحًا لطعن الدين الحنيف .

هؤلاء الذين نَصَّبُوا أنفسهم محامين عن هذا الزنديق المأجور يجاهرون بعداوة الله ورسوله ويطلبون عزل **الأزهر الشريف** عن الأمة الإسلامية ،

ويرددون عبارة « **حرية الفكر** » التى دفنها أولياؤهم الشيوعيون قسرًا لأنه لا حرية مع الشيوعية التى تحطم صنمها وأصبح هشيماً تذروه الرياح .

لم نسمع واحدًا من هؤلاء يدافع عن حرية **المسلمين السوفييت** وقد كانوا مقهورين فى ظل الحكم الشيوعى .. لا يستطيعون أن يمارسوا شعائر الإسلام إلا سِرًّا ولكن الله وقد نزع الحياء من وجوه الشيوعيين ومن لا حياء عنده يقول ما يشاء فقد هبوا يطالبون بحرية الإلحاد فى مصر المؤمنة لأنه لم يعد لديهم ما يقولونه عن الشيوعية بعد أن دُفِنَت فى قمامة التاريخ .

وأنا لا أعجب من أناس ينكرون وجود الله ويتفزعون من رؤية المصحف أن يتصدوا للدفاع عن زنديق حَلَّت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعَدَّ لهم عذاباً مهيناً** ﴾[1].

إن هذه الفتنة التى يتبناها **الشيوعيون والعلمانيون** لن تضير الإسلام ولا نبى الإسلام – ﷺ – فى شىء ولكنها أظهرت أمام العالم كله أن مصر المؤمنة : **مصر الأزهر** لن تكون مرتعاً لأى فكر يهين الإسلام ، فعلى الذين يعيشون فى أوهام الشيوعية والعلمانية .. على الذين أفنوا حياتهم أبواقاً للضلال والإضلال .. على الذين امتزجت دماؤهم بعداوة منهج الله عليهم جميعاً أن يتواروا فى ثياب الذُّل فقد وصفهم الله تعالى فى قرآنه العظيم : ﴿ **إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين * كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إنَّ الله قوِىٌّ عزيز** ﴾[2].



(١) الأحزاب/ ٥٧ .   (٢) المجادلة/ ٢٠ ، ٢١ .

تسب الدين تأكل « ملبن »

● وفى ١٠ يناير ١٩٩٢ م نشرت **جريدة الأخبار** مقالاً للأستاذ **محمد جلال كشك** تحت عنوان : « **تسب الدين تأكل « ملبن » ... ومسافة فى ضمائر الرجال** » قال فيه :

بعد النوبارية والعبارة جاء علاء حامد .. شخص باعتراف المدافعين عنه لا يجيد الكتابة ، لا يقرأه أحد ، يطبع كتبه على حسابه .

وكتابه الذى جلب له السعد باع منه فى سنتين أقل من مائة نسخة .

ولكنه أخيراً اكتشف الطريق للمجد والشهرة والفلوس وأكل الملبن .. بسب الدين على طريقة سلمان رشدى فأصبح على الفور من رواد عصر التنوير والتزوير شهداء حرية الفكر والضمير ، وقبض عشرة آلاف دولار من الأمريكان حماة الذمار ، وربما ينال الكارت الأخضر ويصبح مواطناً أمريكياً ؟

أليس هذا أفضل من عناء الثانوية العامة والكدح لدرس الأدب والتاريخ وشقاء معرفة النحو وأخوات كان وجواب الشرط تكفى أدوات النصب والعلة وتصبح أشهر من محفوظ وابن بللا .

لو حاولت أن تنتقد السد العالى لطالبوا منع الكتاب حماية لسمعة الزعيم الخالد حتى صلاح نصر من يتعرض لسيرته العطرة ينكل به حتى ولو كان من مصدر « لصيق » الصلة .

أما إذا اقتصرت على سب الإسلام والنبى بالذات فقد جمعت المجد من أطرافه وأصبحت صاحب قضية وانبرت للدفاع عنك الجوقة إياها تستنكر وتشجب وتعارض !!

حذار أن تصدق أنها غضبة لحرية الفكر ومصادرة الكلمة ، فتغامر بالكتابة عن غير المطلوب ، فيقع المعطوب ، وما ينبئك مثل خبير ، فقد حكم على واثنين من أولادى بالسجن فى قضية نشر كما كنت أظن ولم يغضب قلم بل لم تنشر جريدة واحدة الخبر ولا أذاعه راديو لندن قبل جورباتشوف ولا بعد طوف وشوف .

وقد عرفت بعد ذلك وبعد استقراء التاريخ أن غضبتهم لحرية الفكر تشمل فقط من يسب دين المسلمين وأن الذين شنقوا وحكم عليهم بالسجن فى عهد الزعيم الخالد من الكتاب والقضاة والمستشارين لم يكونوا ضحايا جرائم فكر ولا نشر بل على الأغلب أدينوا فى قضايا تسعيرة ، وإلا لما فات حماة الحرية الغضبة لهم .. بل على العكس قال قائلهم مرة وهو يؤرخ : « وأعدم عدد لا بأس به من زعماء الإخوان » .

أى والله هكذا يتحدثون عن مخالفى اتجاههم أما إذا سب علاء حامد النبى فهى قضية حرية فكر يشهد على ذلك الدكتور .. والدكتورة .. وكفى بنا داء أو كما يقول المثل « حداية ضمنت الغراب » .

ودعاة حرية سب الأنبياء مازالوا يسجلون بين أشنع جرائم السادات أنه أخرج الإسلاميين من السجن ، وتأمل استغاثتهم المسعورة اليوم بأى جنرال جزائرى أو مغاربى أو أمريكى أو فرنسى ليسحق إرادة الشعب الجزائرى لمجرد أنه اختار الإسلام ، تعلم أنهم آخر من يحق له الحديث عن الديمقراطية .

أما نحن فنؤمن حقاً بالحرية ونرفض محاكمة الفكر كل الفكر لا نستثنى ولا نختص .

وكما قال الأستاذ عبد الوارث الدسوقى إن الحكم فى قضية علاء حامد صدر بموجب قانون الطوارئ وليس بموجب الشريعة . وكل الناس يعرفون من الذى يعارض قانون الطوارئ ومن الذين لا يتذكرون إلا إذا أصاب أحدا من شيعتهم .

ياللهول عندما يدافع وزير إعلام صلاح نصر وعبد الناصر عن حرية الفكر .

ياللدعارة الفكرية كما قال نجيب محفوظ مرة .

ورغم أن أحد كتبى التى صادرتها النيابة أفرج عنه القضاء بناء على شهادة مجمع البحوث الإسلامية . وأن هذا المجمع يتمتع بحرية فكر وسعة أفق مفتقدة فى حماة الحرية هؤلاء ، ومع ذلك فأنا أعارض إخضاع الفكر لآية رقابة أو مراجعة ونرفض تماماً الحكم بالسجن على ناشر أو كاتب . ولكن القضية هى كيف نمنع الاسترزاق بالدين .. فمنذ اشتهار سلمان رشدى تجرى محاولات

مجنونة للتشبه به والسير على دربه .. والأكل على مائدة أعداء الإسلام .

نعم يجب ألا يصدق الحاكم العسكرى على الحكم .. بل ويجب ألا يمثل كتاب مهما كان ولا كاتب حتى لو كان علاء حامد أمام القضاء الاستثنائى .

ولكن يجب منع هذا الذى اتفق الجميع على خلوه من المعرفة والموهبة من الاستفادة من جريمته .

ففى الغرب يمنعون المجرم من نشر كتاب أو فيلم عن جريمته يتكسب به فكيف نمنع الاسترزاق بسب الدين أو السير عارياً فى الطريق ؟

كيف يمكن تطبيق قوانين الصور العارية على الفكر الداعر دون أن نقيد حرية الفكر الحقيقى ؟

هذه هى القضية التى تطلب حلاً .

العم سام .. واستباحة الإسلام

● ونشرت **جريدة الحقيقة** الصادرة عن حزب الأحرار فى عددها « ١٨٨ » الصادر فى ٦ رجب ١٤١٢ هـ – ١١ يناير ١٩٩٢ م مقالاً للدكتور **أحمد عبد الرحمن** الكاتب الإسلامى وأستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعات المصرية تحت عنوان « **العم سام .. واستباحة الإسلام** » قال فيه :

● شَتْمُ النبى محمد ﷺ ، وَسَبُّ الإسلام ، والتشكيكُ فيه لن يتوقف أبداً : من « يولوجينوس القرطبى » (٧٤٩م) و« بدرو باكسوال » الإسبانى ، إلى « القس سواجارت » الأمريكى ، وسلمان رشدى ، وعلاء حامد . والدعم الرسمى لشتم نبينا وازدراء ديننا لن ينضب : من كعب بن الأشرف ، وحُيَىّ بن أخطب ، اليهوديين ، إلى ملوك الإسبان فى الأندلس ، وأباطرة أوربا الصليبية ، ووزارات المستعمرات الفرنسية والبريطانية ، ومراكز نشر الإلحاد الشيوعية السوفيتية ، ثم أخيراً ، منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان الأمريكية ، التى هى أوكار مُتَخَفّية لنشاطات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

● إن أمتنا المسلمة يجب أن تستسلم لأمريكا وأوربا ، وتقبل صاغرةً دور التابع الذليل فكرياً وسياسياً واقتصادياً ، كما يجب أن تودِّع أحلام الاستقلال الحقيقى ، والتطلع إلى معاملة دولية عادلة بين أنداد أحرار ، لكل منهم هويته الثقافية الخاصة ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، تسلَّمْت أمريكا راية الحرب الصليبية ضد الإسلام وضد نبيِّه – ﷺ – . **فهذا الدين هو القلعة الحصينة التى حَمَتْ أمتنا عبر التاريخ ، وهو الصخرة الصلبة التى تكسَّرتْ عليها نِصَالُ الروم ، ودُحِرتْ أفيال المجوس ، وتحطمتْ جحافل التتار والصليبيين والمستعمرين الفرنسيين والإنجليز ، وعجزت عن احتوائها قوى الشر الأوربية والأمريكية المتجسدة فى رأس الحربة الصهيونية المسماة إسرائيل ؛ وهى أيضاً السياج الفولاذى الذى كفل النجاة والحياة لسبعين مليون مسلم فى الاتحاد السوفيتى الملحد البائد ، على الرغم من كل صنوف التنكيل والعدوان التى مُورست ضدهم .**

● و« **العم سام** » يعرف هذه الحقائق ؛ وقد اعتزم أن يجرب حظه ضد دين الله وضد رسول الله ، ﷺ ، بعد أن انفرد بالساحة ، وتسلَّم له العالم الغربى بالقيادة . وهو قد جَمَعَ تراث الحقد الصليبى ؛ ويضيف إليه سلاحاً جديداً يسميه : حقوق الإنسان ، والحريات ! والهدف الثابت هو هو : **إنه استباحة الإسلام ، وتجريده من كل سلاح ، وإجزال العطاء للخارجين عليه ، بالجوائز ، وبالدولارات ، والألقاب ، والمناصب الكبار ! الإسلام وحده يجب أن يستباح ، فيُشتَم نبيه ، ويُستهزأ بمقدساته ، ويُطْعَن فى رموزه ويُشَكَّك فى عقيدته** ؛ وكل من يدافع عنه يُدْمَغ بالإرهاب والتعصب ويُوصَم « بالأصولية والتطرف » . أما نقد اليهودية فهو عداء السامية ، وهو جريمة كبرى ؛ وأما النيل من السيد المسيح – عليه السلام – فيحرمه القانون ؛ وأما البرجماتية النفعية الأمريكية المادية الأنانية ، فهى الصنم المعبود ، الذى يستباح كل شىء فى سبيل الدفاع عنه .

● وقد أظهرتْ قضية سلمان رشدى هذه الحقائق ، فتطلع الملاحدة والمرتدون فى العالم الإسلامى إلى ذهب « العم سام » وحمايته ، ودِفْءِ أحضانه ، واستحسنوا لذلك نظرية قديمة تقول : **إن الأدب فوق الدين**

(الإسلامى فقط !) ، وأن للشاعر والروائى ولكل كاتب ، أن يسبَّ محمداً ﷺ ، (وإن كان القانون يحرم سب رئيس الجمهورية ، بل وسب أى مواطن عادى !) ، وأن يزدرى الإسلام ويسخر من القرآن الكريم ! فهو أديب وفنان ، ومن حقه أن يدعو إلى الإلحاد وأن يزين الفسق والفجور والزندقة ! ويجب على مصر أن تضمن للمرتدين والملحدين حرية شتم محمد - ﷺ - والاستخفاف بالدين الرسمى للأمة ؛ فهذه هى الحرية التى يريدها « **العم سام** » والتى يكافىء عليها ويرعاها ؛ وأية محاولة لمنع الزنادقة من ترويج ضلالاتهم ستعُد نكسة حضارية وكارثة ثقافية ، تقذف بمصر إلى أتون القرون الوسطى الأوربية المظلمة ، وتقضى على الثقافة المصرية وتحكم على العقل المصرى بالعُقم والموت ! - هذا هو ما قاله قادة العلمانية فى مصر . ولهذا طالبوا السيد رئيس الجمهورية بإلغاء الحكم على شاتم الرسول ، ﷺ ، المستخف برب العالمين ، الهازئ بالإسلام والمسلمين ؛ ولهذا كتبوا المذكرات ، وَدَبَّجوا الدُّفُوعات ، وَهَدَّدُوا ، وتوعدوا ، وأرعدوا وأبرقوا !

● ويعلم الله أن الحرية بريئة منهم ، وأنهم أبرياء منها . ولقد أغلقتْ الحكومة ثلاث مجلات إسلامية بقانون أصدرته لهذا الغرض بالذات ، وكَسَرَتْ عشرات الأقلام الحرة ، فما طَرَفَ لهم جَفْن ، وما تحركت فيهم غيرة على الحريات وحقوق الإنسان ! ولقد زُج بالإسلاميين فى السجون ، بالمئات والألوف ، فما احتج محتج ، لا من زمرة العلمانيين المحليين ، ولا من الرأس المفكر فيما وراء البحار ؛ وحكمت المحاكم ببراءتهم ، وَضَرَبَتْ الحكومة عُرْضَ الحائط بأحكام المحاكم ، وأعادت اعتقالهم ، فما ظهر منهم إلا الرضا والتأييد والشماتة !

● فالحريات وحقوق الإنسان بُرقع زائف يضعونه على وجوههم . وأما الحقيقة المرة فهى : الإصرار على استباحة الإسلام ، وتوكيد هذه الاستباحة دستورياً وقانونياً ، لتشجيع الطاعنين فيه ، الشاتمين لنبيه ، الهازئين بقرآنه ، الخائنين لأمته .

د . أحمد عبد الرحمن

حرية فكر أم حرية إلحاد

● وفى جريدة « الوفد » الصادرة فى ٤ رجب ١٤١٢ هـ - ٩ يناير ١٩٩٢ م كتب رئيس تحريرها الأستاذ جمال بدوى مقالاً مُطَوَّلاً تحت عنوان « الإلحاد فى الاعتقاد .. حرية فكر أم حرية إلحاد ؟! » قال فيه :

« قبل ثلاث سنوات تقريباً جاء إلى مكتبى شخص فى الحلقة الخامسة من عمره وأهدانى كتاباً من تأليفه بقصد قراءته والتعليق عليه ، صحبت الكتاب معى إلى البيت وما أن بدأت فى قراءة صفحاته الأولى حتى انتابنى الهلع فالكاتب يستهل أقواله بإعلان كفره وإلحاده وكيف أنه مسلم بالميراث لم تتح له الفرصة لاختيار عقيدته حتى بعد أن كبر لأنه فقد اهتمامه بالدين لأن الأديان بدأت تتقلص تقلصاً سريعاً حتى أنه لم يعد يدين بالأديان سوى ثلث سكان العالم ، الأمر الذى حدا بكثير من العقلانيين التساؤل عن جدوى الأديان خاصة وقد سُنَّت قوانين وضعية لحماية أمور حَرَّمَتْها الأديان ففى إنجلترا نص قانون يبيح زواج الرجل من رجل وهو واحد من المعاصى التى أجمعت الأديان على تحريمها وكذا أباحت القوانين الغربية المعاشرة الرضائية بين رجل وامرأة والتى تعتبرها الأديان زنا وفسقاً وفجوراً وتعاقب عليها بالقتل والرجم .

ويتساءل المؤلف .. فما جدوى الأديان وقد شدت الشرق إلى أحضان التخلف بينما ارتفعت هامات شعوب لا تؤمن بالأديان مما يعنى أن الدين لم يعد منارًا للحضارة وأن غيابه لا يعنى انهيار الأخلاقيات .

على هذا المنوال المسرف فى الكفر والإلحاد والإباحية نسج المؤلف صفحات كتابه ثم هو يتخيل رحلة إلى الجنة حيث يلتقى بالأنبياء والرسل فيحاورهم ويسخر من معجزاتهم وأفكارهم وكفاحهم ويرى أن كل ذلك خرافات وأوهام من صنع أشخاص معتوهين وشواذ مسرفين فى تعاطى الحشيش والخمور والأفيون .

المهم أننى طرحت الكتاب جانباً وأهملت الكاتب والكتاب ولكننى فوجئت بالرجل يزورنى مرة ثانية يستحثنى على التعليق على كتابه وتعجبت من وقاحة الرجل مرتين . مرة : حين تجرأ على تسطير هذه السفالات فى كتاب منشور ومرة ثانية : حين خطر بباله أن يقدم كتابه إلى كاتب مثلى مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ثم ينتظر مِنِّى أن أُقَدِّمَهُ إلى القُرَّاءِ .

ولكنى ضبطت أعصابى وصرفته بالحسنى بعد أن طلبت منه عدم التردد مرة أخرى وكدت أنسى الموضوع لولا أن أخباره بدأت تظهر فى الصحف إلى أن استمعت ليلاً فى أواخر الشهر الماضى إلى خبر من إذاعة لندن مفاده أن إحدى محاكم أمن الدولة فى مصر أصدرت حكماً بالسجن ثمانى سنوات على المؤلف والناشر والمطبعجى ، وتخيلت الضجة التى ستثور بعد إذاعة الخبر وكيف ستتحول القضية من جريمة إهانة الأديان والرسل إلى قضية العدوان على حرية الفكر . وقلت لنفسى ليتهم تركوه مهملاً فى زوايا النسيان فذلك أَدْعَى إلى محاصرة الكفر والإلحاد أما الآن فسوف يتحول الرجل إلى شهيد ومفكر .. وتذكرت على الفور قصة سلمان رشدى الملحد الذى أصبح نارًا على علم بعد أن أصدر الخومينى حكماً بإهدار دمه وكان من الممكن أن يعيش دون أن يشعر به أحد كما يعيش كل الضالين والأفاقين فى العالم ثم يهلكون دون أن نسمع لهم ذكرًا .

وحدث ما توقعته وهب بعض الكتاب للدفاع عن المؤلف والكتاب رغم أنهم لم يقرءوه وصوروا القضية على أنها عدوان على حرية الكتابة والرأى ، فأى انتقاص من هذه الحرية هو عدوان على الحريات العامة وحقوق الإنسان وسرعان ما اختلطت الأوراق وتشابكت القضية مع غيرها من قضايا السياسة والاقتصاد بل وصل الأمر إلى حد الإرهاب والتخويف وتصوير الحكم الذى صدر على أنه ممالأة للتطرف الدينى .

وقد وجدت أن معظم الذين كتبوا عن القضية رَكَّزُوا اهتمامهم على حرية الفكر دون أن يتطرقوا إلى جوهر هذه الحرية وأبعادها كقيمة فطرية نبيلة من حق الإنسان أن يتمتع بها دون إجحاف بحقوق الآخرين ودون

اعتداء على معتقداتهم ومقدساتهم الدينية ، ورأيت أن البعض أسرف فى قيمة المؤلف فرفعوه إلى مرتبة المجتهدين الذين يحق لهم أن يعملوا فكرهم وعقلهم فينالوا أجرًا إن أخطئوا وأجرين إن أصابوا .

وأقول للسادة الذين يتباكون على حرية الفكر إن حرية الفكر ليست موضع نقاش أو جدل أو مساومة من جانب أتباع الديانات السماوية وليس هناك أى تعارض بين حرية الفكر وحرية التدين .

ولكن السؤال الذى يجب أن نتوقف عنده طويلاً هو : هل حرية الفكر تعنى حق أى إنسان فى أن يتطاول على حرماتنا ، نحن المؤمنين أتباع الديانات السماوية لنا مقدسات وأصول ومعتقدات .. فنحن نؤمن بالإله الواحد الأحد ونؤمن بأنبيائه ورسله وكتبه ، ونؤمن بالجنة والنار ، والصراط المستقيم ، والبعث ، والنشور ، والحساب ، والخلود فى جنة أو فى نار .. فإذا ظهر مارق يطعن فى هذه المقدسات على صفحات كتاب مطبوع ومعروض فى الأسواق هل نصفق له ونهلل ونستقبله بالأحضان .. ونقول له حنانيك يا مفكر .. يا جهبذ .. يا مجتهد ؟

إن الدولة ، أى دولة فى العالم ، لها حرمات لها علم ونشيد وشعار ودستور ونظام وقانون فهل تسمح لأحد أن يمزق علمها رغم أنه قطعة من القماش ؟ أم هى تعاقبه وتقطم رقبته لأنه أهان شعار الدولة ورمزها فلماذا تثور ثائرة القوم إذا اعتدى أحد على أحد الرموز الوطنية وينقمون على غيرهم إذا ثاروا دفاعاً عن رموزهم الدينية ؟..

هل الدين مباح إلى هذا الحد ؟ أليس للأديان حماتها يغضبون إذا تعرضت معتقداتهم للإهانة العلنية ؟!..

إن كل الدول الغربية والشرقية والشمالية والجنوبية تحمى معتقداتها الدينية فلماذا هذه الضجة الكبرى إذا نال ملحد أفَّاقٌ جزاءه !.؟ أم تريدونها حرية إلحاد وإباحية تحت ستار حرية الفكر ؟؟؟

ثم يقول الأستاذ جمال بدوى : وأرانى مضطراً إلى أن أعرض على القارئ الكريم نتفاً من السفالات التى تضمنها هذا الكتاب وبداية أقول للذين

تَصَدَّوا للدفاع عن المؤلف دون أن يقرءوا الكتاب إن محتوياته ليست كلها رحلة خيالية إلى ما أسماه « الجنة » فهذه الرحلة لا تستغرق أكثر من ١٠٠ صفحة أما بقية الصفحات وعددها ١٤٠ صفحة فهى أقوال وشطحات اقتبسها المؤلف من كتابات مشاهير الملحدين ليُدَلِّل بها على كفره وإنكاره لوجود الخالد .. وهو يتصور نفسه فى جَنَّتِهِ المزيفة وقد أحاط به أهلها وجعلوا منه « إلهاً » يركعون له ويسجدون وَيُسَبِّحون بحمده وهم لم يفعلوا ذلك إلا لأنهم جهلة والجنة فى نظره وهم رخيص من صنع الكهنة والمشايخ لأن الناس فى نظره يعتنقون الخرافات ويؤمنون بالغيبيات ويقاتلون من أجل الوهم والجنة التى رسمها بقلمه المُنْحَط أشبه بالمواخير وعلب الليل .. نساء يطأن نساء .. ورجال يعتلون ولداناً .. ونساء فى أحضان رجال وأفيون وحشيش وخمور .

ثم يبدأ المؤلف محاسبة الأنبياء والرسل بادئاً بأبى البشر ويجعله فى صورة رجل فارع كث الشعر له أنياب بيضاء وحين يسأله عن سر بياضها يقول إنه « يستعمل المعجون بالكلوروفيل » .

ويسخر المؤلف من قدرة الأنبياء على سماع كلام الخالق ويسأل أين العقل فى ذلك فيقول له آدم : فى الحذاء ! ثم ينتقل إلى رجل فى يده عصا إشارة إلى نبى الله موسى عليه السلام فيأخذ منه العصا ويضرب بها الأرض والجدول فلا الأرض انشقت ولا الجدول التأم فيصيح جلا .. جلا ولكن العصا لم تلد حية ولا ثُعْبَانا ولا سحلية وعندئذ يلقى بها إلى النار لأنها تستحق الحَرْقَ .. وعندئذ يبكى موسى كالطفل فيقول له المؤلف : لا تحزن يا والدى هكذا الدنيا يوم لك ويوم عليك والبقية فى حياتك .

ثم يلتقى بشيخ فى يده سفينة صغيرة يعبث بها فى الماء إشارة إلى نبى الله « نوح » عليه السلام ويتحدث باستهزاء عن حادث الطوفان وكيف قامت الشفاطات الإلهية بسحب المياه وإفراغ الأرض من الأوحال وتنظيفها ورصفها .

ثم يهبط إلى درك السفالة والانحطاط عندما يتحدث عن قصة يوسف مع

امرأة العزيز وكيف أن القصة تم تحريفها لتشويه سمعته وإظهاره بمظهر الضعيف جنسياً .

ويمضى الكاتب الدنىء فى جولته التحريفية مع بقية الرُّسل والأنبياء يتناولهم بأقذع الأوصاف ويوجه إليهم أبشع الصفات وينكر عليهم كل ما فعلوه من أجل هداية البشر .





الفصل الرابع

الرواية في قفص الاتهام



الرِّوَاية فى قفص الاتهام

بعد هذا العرض السريع الذى قَدَّمْنَاه فى الفصل السابق لمحاكمة علاء حامد على روايته « مسافة فى عقل رجل » إعلامِيًّا وقضائيا من خلال ما نشرته الصحف المصرية والعربية نعود إلى القضية لنعرض لبعض جوانبها بشيء من التفصيل حتى تتضح خيوطها أمام القارئ وسوف نركز فى هذا الفصل على الرواية محل الاتهام وما دار حولها من مناقشات وذلك من خلال مناقشة تقرير الأزهر حولها وسوف نقسم هذا الفصل إلى عدة مباحث على النحو التالى :

المبحث الأول : تقرير الأزهر عن كتاب مسافة فى عقل رجل .

المبحث الثانى : رد المؤلف « علاء حامد » على تقرير الأزهر .

المبحث الثالث : رد الدكتور أحمد صبحى منصور على التقرير ومناقشتنا لهذا الرد ونقدنا له .

المبحث الرابع : شهادة أدبية تدين المؤلف والرواية .

المبحث الخامس : المدافعون عن المؤلف من العلمانيين والشيوعيين .

★ □ ★ □ ★

المبحث الأول
تقرير الأزهر عن كتاب «مسافة فى عقل رجل»

أعدت لجنة من علماء **مجمع البحوث الإسلامية** التابع للأزهر الشريف تقريرًا مفصلاً عن كتاب « **مسافة فى عقل رجل** » بناء على طلب النيابة الإدارية .

وقد جاء فى هذا التقرير أن الدستور قد كفل حرية العقيدة والفكر للفرد فى ذاته بشرط ألا يتعدى هذا الفكر فيضر بالهيئة الاجتماعية أو بالأساس الاجتماعى لهذا الوطن . فلا يسمح القانون بنشر الفكر إن تضمن ما يهدم نظامًا من النظم الأساسية للمجتمع أو كان بحيث يزدرى أحد الأديان السماوية أو يسيىء إليها أو يضر بالوحدة الوطنية أو بالسلام الاجتماعى هذا .

وإن ما ساقه المؤلف فى الكتاب من سخرية ورمز مهين وطعن مباشر على الأديان السماوية بصفة عامة وعلى الدين الإسلامى بصفة خاصة هذا العمل من المؤلف لا تختلف أحكام الدين أو أحكام القانون فى تجريمه .

ومن هنا فإن نشر هذا الفكر المعتدى يقع تحت طائلة المواد ٩٨ « أ » ، ٩٨ « ب » ، ٩٨ « و » ، ١٠٠ ، ١٠٢ وكذلك المواد ١٦٠ ، ١٦١ من قانون العقوبات .

وقال التقرير : إن الكتاب ينكر الأديان بصفة عامة ثم ينكر العقائد الدينية وينكر الإله ويكذب بالرسل ويزدريهم وينكر الكتب السماوية ويكذب بالإيمان بالقدر وبالبعث والحساب وبالجنة والنار ..

وبالجملة فهو ينكر العقائد الدينية ويزدرى رموزها وشخصياتها ويسخر منها ، ويدعو إلى قيام الهيئة الاجتماعية على نظام مادى بحت لا مكانة فيه للروحانيات أى أنه يدعو إلى هدم الأساس الاجتماعى لهذا الوطن وإلى تغييره .

وإذا قرأنا الكتاب وجدنا به ما يلى :

« أنا ... مُسَلِّمٌ بالميراث .. لو ولدت من صلب ملحد لأصبحت مثله .
فلا اختيار لمسلم فى دينه » صدر المقدمة ص ٣ .

« ثم لماذا يُغَيِّرُ الإنسان عقيدته وقد فقد اهتمامه بالدين كمنهاج فى الحياة » ص ٣ .

« وهذا ما حدا بكثير من العقلانيين إلى التساؤل عن جدوى الأديان » ص ٣ .

« ما جدوى الأديان ؟ وقد شدت الشرق إلى أحضان التخلف وقد ارتفعت هامة شعوب لا تؤمن بالأديان لقمة الحضارة » ص ٤ .

« وانقلب الحال فأصبح الدين سبة فى تاريخ الشعوب » ص ٤ .

وفى سخريته بالعلماء – بصفتهم رموزاً للعلم الدينى قال : « وبالنسبة لأسيادنا المعلمين إخوان شمهورش أصبح الدين فى حد ذاته هدفاً يجنون من ورائه ثمرات المال والشهرة والسلطة ومتع الحياة ما ظهر منها وما بطن » ص٥

ومن عباراته التى يبث بها الشك فى الدين قوله :

« أم أن تلك الرسالات ليست سوى صيغ بشرية آمن بها أصحابها ثم تداولوها بدعوى أنها إلهية ؟ وعلى هذا فتصبح صلة الرسل بالله صلة افتراضية لا تدعمها حقيقة ولا يسندها برهان .. » ص ٦ .

وفى إنكاره وتعريضه وسخريته بالمسيحية والإسلام قال : « عقيدة ترتبط بفكرة الخلاص والزهد والتثليث والأخرى ترتبط بفكرة الجنة التى شغف الناس بالاستشهاد من أجلها والنار التى وقودها الناس والحجارة ..

وإذا كان منطقياً ترغيب الأعرابى المتعطش للمال والجنس والطعام بالجنة التى تجرى من حولها وفوقها وتحتها الأنهار بقطوفها الدانية ونسائها الحور العين وخمرها المعتقة .. لم تعد تلك الأمور تهز وجدان الإنسان العصرى ... لم يعد هذا مقنعاً فى عصر أصبح العقل فيه سيد الموقف ولذلك لم يبق أمام إقناع الإنسان سوى طريق واحد وعدًا فى جنة أرضية واقعية يقطف ثمارها وهو حى يرزق ، وأمة سلام يجد فيها متعه الحسية والعقلية والعاطفية ..

لم يعد كافياً أن تكون حجة التحريم العبارة المأثورة : « هذه مشيئة الله »

لأنه حتى ولو كانت كذلك فلابد لها من تبرير مقنع وإلا وضعت كأى اجتهاد شخصى – ينقصه الدليل – فى جعبة الخرافات » ص ٦ ، ٧ .

وفى دعوته إلى ترك الفضائل التى دعت إليها الأديان قال : « لقد باتت أخلاقيات العصر عامة والشرق خاصة فى حاجة إلى مراجعة شاملة .. إلى تقييم جديد يضع الأمور فى نصابها نقوم بموجب هذا التقييم إلى إعادة تبويب العلاقات الإنسانية ... الحلال ... والحرام تبويباً يتأسس على أسس عصرية .. لا على ما توارثناه من تركة مثقلة بالخرافات والخزعبلات » ص ٧ ، ٨ .

وفى إنكاره الإله قال : « نحن الحقيقة وما عدانا وهم .. نحن الحقيقة والحقيقة نحن ، وطالما أن الله حقيقة فلسنا سوى الله » ص ٨ .

وفى زعمه بأن الأديان خرافات قال :

« لقد عجزت الأديان عن تفسير علمى مقنع .. وأذابت العقل الإنسانى فى محلول حمضى مركز من الخرافات » ص ٩ .

وفى إنكاره للرسل وسخريته بهم قال :

« أوليس من حقنا أن نسأل ونحن نصعد للقمر ونحن نصهر الخرافات لنقذف بها فى بالوعات التاريخ القذرة .. أليس من حقنا أن نسأل عن الرسل .. ماهم ؟ وما هويتهم ؟ » ص ٩ .

وفى دعوته للمذهب المادى العلمانى قال :

« الإنسان الآن يريد بعثاً ، بعثاً يضع الديانات فى مكانها الصحيح : علاقة بين الإنسان وربه .. والمعاملات علاقة بين أفراد المجتمع » ص ١١ .

وبعد هذه المقدمة التى أشار التقرير إلى بعض من فقراتها وآرائها الخطيرة ينتقل إلى الموضوع الأصلى للكتاب وهو « محاكمة الإله » الذى جعله المؤلف فى تمثيلية متخيلة وجعل نفسه قطب هذه التمثيلية فَصَوَّرَ نفسه إلهاً وأخذ يتصرف كما يتصرف الإله بين الخلق لينتهى من هذا كله إلى تقرير أن جميع المعتقدات فى الإله وفى الرسل والثواب والعقاب الدنيوى والأخروى هى وَهْمٌ من تصورات الناس على شبه ما تصور هو فى نفسه إنه إله .

ثم ختم التمثيلية التى صورها فى صورة « محاكمة إله » بفصول خصصها

للنقاش المباشر للعقائد الإسلامية والتنديد بها والسخرية منها ثم لعرض آرائه الشيوعية المادية .

ويعرض التقرير شيئاً مما جاء فى ثنايا هذه التمثيلية من خطايا المؤلف التى تزرى بالعقائد الدينية الإسلامية وتنكرها ثم تسخر من الرموز والمقدسات الدينية الإسلامية .

فمن أمثلة سخريته بالجنة قال : « أى جَنَّة هذه التى يقطنها مجموعة من المرضى » ص ١٦ .

وفى صفحة ٣٢ يبث الشك فى معتقد الجنة ويسخر منها ويعرض الحياة فيها فى صورة جنسية ساقطة ثم يقول إنها (أى الجنة) مستنقع للرذيلة وجنة المسكرات .

وفى صفحة ٢٩ يقول عن المعجزات أنها خداع بصر ، وفى صفحة ٣١ ينكر البعث والحياة الأخرى .

وفى صفحة ٣٤ ، ٣٥ يصف العلماء الإسلاميين بأنهم أصحاب خمر وشهوة ، وفى صفحة ٣٦ يقول : « آفة المجتمعات هى تلك الحثالة التى جعلت من الدين ستارًا تخفى خلفه كل الموبقات » وفى صفحة ٤٢ يُقَرِّرُ أنه إله وأن الإله هو الناس والناس هم الإله ، والمعنى أنه لا إله إلا القدرة البشرية .

وفى صفحة ٥٢ يقول : « كثيرًا ما حاورنى الشك فى هوية هؤلاء الأنبياء لكنى لم أستطع أن أعلن شكوكى خشية اللعنة » وهو يسخر بآدم وبالأنبياء ص ٥٦ ثم ينتقل فجأة إلى النبى محمد – ﷺ – ويتهكم به ويقول : « الأمى الذى يعجز عن الكتابة والقراءة ، الأمى الذى لا يستطيع أن يُمَيِّزَ بين الألف وكوز الذرة » .

وفى صفحة ٦١ يتهكم بموسى – عليه السلام – وبمعجزة العصا وينكرها فى حين أنها مذكورة فى القرآن الكريم ، ويستمر فى التنديد بموسى ومعجزاته ويجرى على لسانه تحقيرًا للنبى محمد – ﷺ – وأنه « الرجل الذى يراد إظهاره فى صورة الكمال بتضخيم أخطاء من سبقوه » ص ٦٣ .

ويجرى على لسان موسى « كذلك أن اليهود فى طريق الإجهاز على

المسلمين أصحاب الأخلاق المنحطة » ص ٦٤ .

ويقول : « الملائكة خرافات دفنت من ثلاثة آلاف عام » ص ١١٢ ... والحضارة لا صلة بينها وبين الاعتقاد بوجود الإله ووجود الجنة والنار ، وأنه لا ارتباط بين الحضارة وهذه المعتقدات .

ثم يقول : « الإنسان ليس سوى نظرية مادية بحتة جاء بالصدفة وسيموت بالصدفة وبموته يصبح مجرد ذكرى فى أروقة الحياة فلا إله ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا جِنٌّ أزرق أو أحمر ولا ملائكة بيضاء والرسل ليسوا سوى مجموعة من الدَّجَّالِين والأدعياء ... » ص ١٢٥ .

ويقدم تقرير **الأزهر** الذى جاء فى عشرين ورقة « حجم الفلوسكاب » نماذج متعددة للسقطات التى وقع فيها المؤلف مصحوبة بأرقام الصفحات التى وردت فيها .

وينتهى إلى أن أمر هذا الكتاب لا يحتاج إلى تفنيد أو رد أو تعليق ذلك أنه هاجم العقائد وأنكر الأديان والرسل والكتب السماوية ، وأن المؤلف قد قصد بكتابه هذا وما يحمله من آراء متطرفة هَدَّامة إثارة الفتنة وتحقير وازدراء الأديان السماوية وأنبيائها وبخاصة دين الإسلام وكذلك الطوائف المنتمية لهذا الدين ولغيره من الأديان ثم دعا إلى ما يؤدى إلى الإضرار بالوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى .

وأن المؤلف قد اعتدى على الأصول الدينية للإسلام فاتجه إليها بالنقض والازدراء واعتدى على القرآن الكريم وادَّعى أنه من صنع البشر ، وتناول بالازدراء والتهكم نبينا محمد – ﷺ – وكذلك تهكم بالرموز الإسلامية من علماء وشعائر وعقائد فضلاً عن تهديده للسلام والأمن الاجتماعى .

وبهذا فإن المؤلف يقع تحت طائلة القانون وبخاصة أحكام المادة ١٦١ من قانون العقوبات التى تتصدى لمثل هذا العمل حفاظاً على الأديان وعلى سلامة وأمن المجتمع .

وقد طالب التقرير فى نهايته بمساءلة هذا الرجل طبقاً لهذه المادة وغيرها من المواد السابق ذكرها وعلى أساس من أحكام القانون .

المبحث الثانى
ردّ المؤلف "علاء حامد" على تقرير الأزهر

قام مؤلف الرواية « علاء حامد » بالرد على تقرير الأزهر حول روايته محاولاً تزييف الحقائق دفاعاً عن نفسه وتخليصاً لها من التهم الموجهة إليه بالإساءة إلى الأديان والرسل والأنبياء فقال فى رده :

« بقراءة التقرير وبالرجوع إلى نص الرواية نجد أن كاتب التقرير (هكذا يقول رغم أنه ليس كاتب واحد بل لجنة عُلْيا من عُلماء مجمع البحوث الإسلامية) قد قام متعمدًا بالتزوير بتغيير لفظ أو عِدَّة ألفاظ أو بإسقاط عبارات من سياق الموضوع أو باستخراج معنى مخالف تماماً لقصد المؤلف بالاستنباط أو القياس الفاسد وذلك بقصد الإضرار بالمؤلف .

وعموماً فتحريك مثل هذا الاتهام ضد مؤلف روائى يحمل دلائل كثيرة منها الهُوَّة الثقافية التى انحدرنا إليها والردة الحضارية التى نهوى إليها ، وأن براءة المؤلف هى فى الحقيقة مكسب للقضاء والفكر والحضارة والتحضر كما وأن الإصرار على عدم الإفراج عن المؤلف وتجديد حبسه أكثر من تسعين يومًا هو فى الحقيقة إدانة خفية للمؤلف غير مُعْلَنَة نتيجة للحملة المُنَظَّمَة فى صحف الجمهورية والأخبار واللواء الإسلامى والأهرام ونتيجة انزواء الفكر المستنير للتصدى لقضية القبض على مؤلف روائى .

وأن القضية لم تعد قضية علاء حامد وحده بل أصبحت قضية الفكر كله أن يكون أو لا يكون ، وأن شهرة واسعة الآفاق تنتظر هذا القاضى المستنير الذى سيتصدى لهذه القضية بالحكم بالبراءة ، هذا الحكم الذى لن يقل أهمية عن حكم المحكمة الدستورية العليا الذى قضى بعدم دستورية مجلس الشعب .. لا يقل عن حكم براءة طه حسين عن كتابه « الشعر الجاهلى » سَتُرَدِّدُه الأجيال باعتباره سابقة قضائية فى تاريخ القضاء المصرى لم تحدث من قبل فى قضية فكر خاصة وأن المؤلف له إحدى عشر كتاباً ما بين رواية ومجموعة قصصية قصيرة وحائز على أكثر من جائزة أدبية ويمثل

مكانة طيبة فى مقدمة روائى الجيل الثانى بشهادة النقاد « يلاحظ أن هذا كلام المؤلف عن نفسه » .

ويقول فى رَدِّه أن الكتاب ليس سوى عرض لمبادئ حضارة مادية متقدمة عمرها بعد ثلاثة آلاف عام من كتابة الرواية وهى تصور لمجتمع يكمل حضارة الإنسان ومجتمع آخر أصابه الخراب والدمار نتيجة قيام الحرب العالمية الثالثة من خلال بطل القصة الذى ينطلق فى سفينة فضائية لكوكب أورانوس فى رحلة استغرقت منه ثلاثة آلاف عام يعود بعدها إلى الأرض ليجد أن الحرب العالمية الثالثة قد قضت على كل ما فيها من حياة ما عدا فئة قليلة تقطن إحدى البقاع على هذه الأرض فئة تخلفت تماماً عن ركب الحضارة ، وبعد أن يعثر البطل على النفق الذى انتهى إلى مدينة فاضلة فضل أهلها قبل قيام الحرب العالمية الثالثة أن يهجروا الأرض إلى باطنها يُكْمِلُوا حضارة ملايين السنين يعود إلى قومه ومعه كتاب التنوير أساس الحضارة المادية لهذه المدينة لكنه يفاجىء برجال الدين وهم يقبضون عليه ويحاكموه فمحور الصراع فى القصة بين الحضارة والتخلف ، بين التقدم والبدائية يمثل أحد قطبى الصراع رجال الدين بما يحملون من تخلف ويمثل القطب الآخر بطل القصة وحضارة المدينة الفاضلة وينتهى الصراع بالحكم على البطل بالإعدام إلا أن المطر يوقف تنفيذ الحكم وهو يطفىء النار .

ثم يقول علاء حامد : إن ما أثار حقاً حفيظة رجال الدين أن بطل القصة كان يعتبر رجال الدين أحد أسباب التخلف والانطوائية والحقيقة أنهم بهذا التقرير يمثلون قمة التخلف والرجعية والانطوائية والخجل أمام الشعوب المتقدمة .

« ولا تعليق فكلام المؤلف هذا إدانة جديدة له بعد ما كتبه فى الرواية » .

ويحاول علاء حامد فى رَدِّهِ على تقرير الأزهر الرجوع إلى نص الرواية للرد على النقاط التى تناولها التقرير وسنورد هنا بعض نقاط التقرير ورده عليها بنص الرواية ليدرك القارئ المسلم رغبة المؤلف فى التمادى فى باطله

وإصراره على هذا الباطل وعدم الرجوع إلى الحق والتوبة فيما اقترفه من أباطيل فى حق الله ورسله وكتبه .

● **فالتقرير يقول** : من أمثلة سخريته بالجنة قال : « أية جَنَّة هذه التى يقطنها مجموعة من المرضى » .

المؤلف : نستطيع أن نفهم ما يعنيه البطل بعد قراءة السطور التالية ص ١٦ .

« أية جنة هذه التى يقطنها مجموعة من المرضى يتناثرون كالأشلاء لا هدف لهم ولا غاية ، تحركاتهم غريبة يأكلون ويشربون وينامون ... يتعذبون يتحركون فى صمت بلا غضب ولا حزن ولا ابتسامة .. يروحون ويجيئون فى خطوات متشابهة مرسومة كأنهم مربوطون بخيوط خفية فى يد مدبرة تحركهم كما تشاء ... تفرض عليهم سلطانها وقدراتها وما هم إلا أشياء تملى عليهم الحركة والكلمة » .

كلمات وردت فى هذا النص تنفى عن هؤلاء القوم صفة أهل الجنة « يتعذبون .. فهل أهل الجنة يتعذبون ؟.. مرضى فهل أصحاب الجنة مرضى ؟ » .

ويقول : « الجنة التى قصدها المؤلف فى روايته لم تكن سوى مكان على الأرض بعد قيام الحرب العالمية الثالثة » .

« وما بقى فوق قشرتها ليس سوى وَهْمٌ اسمه الجنة والخلود والحقيقة محزنة مؤلمة ، حقيقة تلك البقايا الآدمية الحيوانية التى استبقت الحياة لوقت غير معروف مداه نهاية البشرية » .

● **التقرير** : القصة تنكر البعث والحياة الأخرى .

المؤلف : بقراءة متأنية نجد أن البطل يسأل : « هل هذه هى الجنة ؟ » بل وينكر أن تكون هذه الأرض هى الجنة وينكر عليهم اعتقادهم أنهم بعثوا على هذه الأرض بعد موتهم وهو يتساءل : « هؤلاء الناس يعيشون فى عصور الظلام والإظلام .. ظلام الأفق وإظلامة العقل معتقدات بالية أن يبعثوا من جديد بعد موتهم وهذه هى جنتهم الموعودة عرضها السموات والأرض كثير منهم يتحدث عن حياتهم الأولى فمتى وأين كانت تلك الحياة ؟ هل حقاً تلك

هى الجنة أم التى فى كوكب آخر مازال بعيدًا عن ركب الحضارة .

● **التقرير** : يبث الشك فى معتقد الجنة ويسخر منها ويعرض الحياة فيها فى صورة جنسية ساقطة ثم يقول إنها « أى الجنة » مستنقع الرذيلة وجنة المسكرات .

المؤلف : هذا إسفاف وتحريف وتزوير للأسباب التالية :

١ – بالنسبة للشك فى معتقد الجنة فبطل القصة يشك فعلاً فى معتقد قومه أن ما يقطنوه هو الجنة بعد أن بعثوا إليها كما سبق أن أسلفنا وما صلة هذا بمعتقد الجنة ذاته إلا أن تكون الرغبة فى التحريف والتزوير والقياس الفاسد .

٢ – بالنسبة لعرض الحياة فيها بصورة ساقطة وهذا صحيح لأن الصورة الساقطة تتواءم وتتفق مع ما رسمه المؤلف من أحداث رغم هذا فبطل القصة ينكر هذه الصورة وهو يقول غاضباً : « ليست جنة بل مستنقع للرذيلة .. هل هذه هى الجنة .. الرذيلة فى وضح النهار » .

ولكن ماذا تعنى كلمة الجنة فى الرواية بالنسبة لرجل الأزهر الشريف جدًا ولماذا يصر على أن هذه الكلمة مقصود بها تلك الجنة التى وردت أوصافها فى الكتب السماوية .

● **التقرير** : يصف العلماء الإسلاميين بأنهم أصحاب خمر وشهوة ويقول : « آفة تلك المجتمعات هى تلك الحثالة التى جعلت من الدين ستارًا تخفى خلفه كل الموبقات » .

المؤلف : رغم أن هذه العبارة تتصل بأحداث الرواية إلا أنها حتى بعيدًا عن أحداث الرواية فهى عبارة لا غبار عليها فالذين يجعلون من الدين ستارًا يخفون خلفه كل الموبقات هم فى الحقيقة حثالة .

● **التقرير** : يتحدث المؤلف عن الطواف حول الكعبة وعن أداء المناسك وأن رجال الدين يخالطون الناس ويعربدون .

المؤلف : سطور الرواية تبين تزوير وغش وخداع رجل الأزهر (يقصد برجل الأزهر هنا كاتب التقرير وهو فى الحقيقة لجنة عليا من علماء مجمع البحوث الإسلامية – كما ذكرنا) .

« **شردت أفكارى ذلك المعبد** الذى يتوافد عليه الناس فرادى وجماعات (معبد وليس كعبة) يطوفون حوله يتزاحمون لِيُقَبِّلُوا جُدْرَانه .. يبصقون فى وجه الشيطان ، يصرخون طالبين المغفرة .. إنهم يتألمون بلا دموع وبلا مشاعر .. ألم الحيوان .. عذاب القرود .. رجال الدين يرتدون الرداء الأحمر والقلنسوة السوداء .. الشكوك تزاحم عقلى تقهره .. هل هذه هى الجنة مجموعة من البلهاء يُقَبِّلُونَ الحائط يبصقون على الشيطان » .

فهل سطور الرواية توحى من بعيد أو قريب بالكعبة ؟ أم لمجرد ذكر كلمة يطوفون استنتج الأزهر أن هذا الطواف هو طواف حول الكعبة .

● **تقرير الأزهر** : الحضارة لا صلة بينها وبين الاعتقاد بوجود إله ولا ارتباط بين الحضارة وهذه المعتقدات .

المؤلف : هذه قيلت بمناسبة محاكمة البطل أمام محكمة الحقيقة ورغم أنه لا يمكن فصل القصة عن مضامينها إلا أنه بصفة عامة ما قيل هنا وما يؤاخذ الأزهر المؤلف عليه ليس سوى حقيقة فليس بالضرورة أن يكون أصحاب الديانات السماوية هم من يملكون الحضارة والدليل على ذلك قدماء المصريين وبابل والأشوريين فى العصور القديمة واليابان والاتحاد السوفيتى والصين فى العصور الحديثة .



المبحث الثالث

رد الدكتور أحمد صبحي منصور على التقرير ومناقشتنا لهذا الرد ونقدنا له

بعد صدور تقرير الأزهر حول كتاب « **مسافة فى عقل رجل** » والذى أدان مؤلفه وبين كيف أنه خرج على الإسلام وتطاول على الخالق سبحانه وَسَفَّه الرسل والأنبياء وَشَكَّكَ فى كل ما هو ثابت من العقائد والمُسَلَّمَات الدينية تطوع الدكتور **أحمد صبحى منصور** الحاصل على الدكتوراه فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية من جامعة الأزهر للرد على هذا التقرير مُدَّعِيًّا أنه يخالف القرآن والمتوارث فى فكر المسلمين وحضارتهم ، ومدافعاً عن المؤلف .

وقبل أن نقدم للقارئ المسلم رَدَّه على تقرير الأزهر ومناقشتنا لهذا الرد وتفنيدنا له نود تقديم صاحب هذا الرد أولاً حتى لا ينخدع القارىء بتخصصه الأزهرى ويصل به الحد إلى التشكيك فى تقرير الأزهر حول الكتاب محل البحث .

فأحمد صبحى منصور هذا رجل درس فى الأزهر وحصل على الدكتوراه فى التاريخ الإسلامى من كلية اللغة العربية وعندما بدأ التدريس للطلبة ظهر أن له فكراً إلحادياً وأنه ينكر السنة النبوية وقام بتأليف بعض المؤلفات التى تهجم فيها على الأنبياء . وعندما بدأت أفكاره المنحرفة تنتشر بين الطلبة تقدموا بأكثر من شكوى إلى عميد كلية اللغة العربية آنذاك وهو الدكتور سعد ظلام الذى درس الأمر جيداً وَأَعَدَّ مُذَكِّرَةً مستوفية عن أفكاره وانحرافاته الدينية ، وقدمها إلى إدارة الجامعة التى قامت بدورها بتشكيل مجلس تأديب لصاحب هذه الأفكار ، وصدر حكم المجلس بإدانة د . أحمد صبحى منصور وفصله من الجامعة طبقاً للمادة ٥٠ من قانون تطوير الأزهر والتى تمنع أن يكون هناك فكر منحرف داخل الجامعة .

وعندما أَحَسَّ أن القرار سوف يصدر بإدانته سارع بتقديم استقالته إلى عميد الكلية ولكن لم تقبل استقالته وتم فصله بقرار مجلس الجامعة ، وجاء فى قرار الفصل أن فِكْرَهُ الديني غير صائب وغير مستقيم مع ما علم من الدين بالضرورة .

وبعد فصله من الجامعة تولى الخطابة فى أحد المساجد وأخذ يهاجم الإسلام بشكل عنيف ويثير الشكوك حول السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ فسارع الناس إلى تقديم عدة شكاوى ضده وقام الأمن بالقبض عليه وأودع السجن ثم قُدِّمَ للمحاكمة أمام محكمة أمن الدولة وقام بالتحقيق معه المستشار سعيد العشماوى وهنا يكمن السِّرُّ فى خروجه من السجن عقب التحقيق وسفره إلى أمريكا .

وفى أمريكا قام بالتدريس فى الجامعة الأمريكية و اعتبرته الحكومة الأمريكية من زعماء الفكر فى العالم وهناك التقى بـ محمد رشاد خليفة الذى ادَّعى النبوة هناك وقتل فى العام الماضى ، وقد أصبح د . صبحى منصور خليفة له وبدأ كل منهما يكتب مهاجمًا الإسلام وأصوله وعقائده .

وعاد صبحى منصور إلى مصر وحاول العمل فى جامعة المنصورة دون جدوى لأن القانون لا يسمح بتعيين المفصول .

ورغم كل هذا ورغم مجلس التأديب الذى عُقِدَ له بجامعة الأزهر وحكم بفصله من الجامعة لأفكاره المنحرفة والمخالفة للإسلام إلا أنه تم تعيينه فى جامعة عين شمس لأنه مسنود من شخصية كبيرة فى الحكومة المصرية وهى نفس الشخصية التى ساعدته فى الخروج من السجن والسفر إلى أمريكا .

ولا ننسى أن نذكر هنا أن د . أحمد صبحى منصور هو صديق شخصى للدكتور فرج فودة زعيم العلمانيين فى مصر ويعد أحد أعوانه وهناك جهات مشبوهة تتبنى فكر هؤلاء وتقدم لهم الدَّعْمَ السَّخِى الذى يعمى قلوبهم وأبصارهم عن الحقيقة الناصعة وعن النور السماوى الذى حملته رسالة الإسلام إلى العالمين فلعل القارئ بعد كل هذا يدرك السبب فى قيام د . أحمد صبحى منصور بالرد على تقرير الأزهر حول الكتاب محل البحث واتهامه بمخالفته للشرع الإسلامى ، ودفاعه عن المؤلف .

وأما عن رده على تقرير الأزهر فقد جاء فيه :

« إن ما يهمنى باعتبار تخصصى العلمى الأزهرى هو مخالفة تقرير مجمع البحوث الإسلامية للشرع الإسلامى الذى أنزله الله تعالى فى القرآن الكريم والذى طَبَّقَهُ رسول الله – ﷺ – بالإضافة إلى مخالفة ذلك التقرير لما عرفته ساحات الفكر فى الحضارة الإسلامية ولما عرفته مصادر التراث الإسلامى الذى يقوم على حمايتها والدفاع عنها مجمع البحوث الإسلامية نفسه » . ويعرض صاحب الرد فى ادعائه بأن تقرير مجمع البحوث الإسلامية مخالف للقرآن الكريم فى خمس نقاط وكلها نقاط مردود عليها على النحو التالى :

● **النقطة الأولى** : يقول فى النقطة الأولى : « من حقائق الإسلام الكبرى تقرير حرية العقيدة للإنسان المسالم غير المعتدى بالقوة على الغير وإذا رُفِعَ السلاح واعتدى كان على المسلمين رد اعتدائه بمثله ، وآيات كثيرة نزلت فى مكة تقرر حرية العقيدة وأنه لا إكراه فى الدين ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تُكْرِه النَّاس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾[1].

وبعد أن تكونت للإسلام دولة قوية فى المدينة نزلت آيات تؤكد نفس المعنى ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبيَّن الرشد من الغى** ﴾[2].

وحتى فى حالة الحرب فإن نطق الخصم الكافر بالإسلام كان لابد من صيانة دمه ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة** ﴾[3].

وحتى فى حالة الحرب أيضاً إذا استجار كافر بالمسلمين مع احتفاظه بعقيدته تعين على المسلمين أن يجيروه ويحفظوا دمه وأن يُسْمِعُوه كلام الله لِيُبَلِّغُوه بالحق ليكون عليه الحجة أمام الله يوم القيامة ثم عليهم أن يوصلوه إلى وطنه آمنا : ﴿ **وإن أحدٌ من المشركين استجارك فَأَجِرْه حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون** ﴾[4].

---

(١) يونس/ ٩٩ .   (٢) البقرة/ ٢٥٦ .
(٣) النساء/ ٩٤ .   (٤) التوبة/ ٦ .

ونحن نتفق مع صاحب الرَّدِّ فى أن الإسلام قد قَرَّرَ حرية العقيدة ونزلت آيات كثيرة بهذا الشأن ولكن حرية العقيدة لمن ؟ إنها لغير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى ومن أهل الشرك فليس لأحد كائناً من كان أن يجبرهم على الدخول فى الإسلام أو يحرمهم من ممارسة شعائر دينهم بحرية .

ثم هى حرية المسلمين فى ممارسة شعائر إسلامهم لا فى الخروج من الإسلام والارتداد عنه والإساءة إليه وإنكار وجود الله وتسفيه الرسل والأنبياء والحط من شأنهم والتشكيك فى العقيدة الإسلامية فكل هذه أمور توجب تطبيق حد الردة وهو من الحدود الإسلامية المقررة بالقرآن والسنة وإجماع الأئمة .

ثم إننا فى هذا البحث أمام مسلم تطاول على الخالق سبحانه وعلى الأديان السماوية والرسل والأنبياء وهو بمقاييس الشرع الصحيح يُعَدُّ مرتدًا ؛ ولسنا أمام رجل من أصحاب الديانات الأخرى نريد إرغامه على الدخول فى الإسلام وهناك فرق شاسع – كما بَيَّنا من قبل – بين حرية الاعتقاد وبين حرية الإسفاف والسَّبِّ وإهانة المقدسات وتسفيه الرسل والأنبياء .

● **النقطة الثانية** : ويقول د . أحمد صبحى منصور فى النقطة الثانية : « لقد خلق الله الإنسان وشاء تعالى أن يكون حساب الإنسان يوم القيامة على أساس هذه الحرية ، من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب ومنع الإكراه فى الدين حتى تقوم الحجة على المعاند يوم القيامة . يقول تعالى فى تقدير حرية العقيدة وفى الجزاء عليها يوم القيامة : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فَلْيَكْفُر إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سُرَادِقُها وإن يستغيثوا يُغَاثوا بماءٍ كالمهل يشوى الوجوه** ﴾[1].

ويقول تعالى يخير الناس بين الإيمان بالقرآن أو الكفر به : ﴿ **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا** ﴾[2].

ويقول تعالى لنبيه : ﴿ **فَذَكِّر إنَّما أنت مُذَكِّر * لَسْتَ عليهم بِمُصَيْطِر إلا من تولى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُه الله العذاب الأكبر * إنَّ إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم** ﴾[3].

(١) الكهف /٢٩ . (٢) الإسراء /١٠٧ . (٣) الغاشية /٢١ – ٢٦

فالله تعالى هو الذى سيتولى مساءلة المعاندين وتعذيبهم يوم القيامة ، وما على النبى إلا أن يُبَلِّغَ ويُذَكِّر بالحق فقط » .

والحقيقة إن كلام صاحب الرد هذا صحيح فى سياقه ولكن تطبيقه على الواقعة محل البحث وهى قيام علاء حامد بتأليف كتاب « مسافة فى عقل رجل » الذى تطاول فيه على الله سبحانه وسَفَّهَ فيه الرسل والأنبياء وَشَكَّكَ فى كل شىء من أمور العقيدة تطبيقاً خاطئاً ومرفوضاً من جميع جوانبه لأن المقصود بحرية العقيدة فى كل هذه الآيات التى دَلَّل بها صاحب الرد فى هذه النقطة هى الحرية التى يمنحها الإسلام لمخالفيه من أصحاب الديانات الأخرى ومن أهل الشرك ، فعلينا أن نذكرهم بالحق وندعوهم إليه ولا نكرههم عليه وذلك لكى نقيم عليهم الحجة أمام الله يوم القيامة فمن آمن منهم فقد اهتدى وَأَجْرُهُ على الله ومن عاند وكابر وأعرض عن الحق فجزاؤه على الله .

أما من آمن بالفعل ودخل الإسلام فله وضع آخر فيما يخص حرية العقيدة حيث تعنى هذه الحرية بالنسبة له ألا يُرْغَم على ترك الإسلام وأن يكون حُرَّاً فى ممارسة شعائر دينه ولا تعنى أبدًا أن يرتد عن الإسلام أو يخوض فى أحكامه وعقائده بالباطل وينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة لأنه إن فعل ذلك فإن شريعة الإسلام الذى آمن به قد وضعت نظاماً للعقوبات مُمَثَّلاً فى جرائم القصاص والحدود والتعزيرات والمؤلف فى هذه الحالة ينطبق عليه حد الرِّدَّة طبقاً لنظام الحدود فى الإسلام .

ولو كان المسلم حرًا فى كل شىء – كما يقول صاحب الرد – وخاصة حرية العقيدة وإن حِسَابَهُ على الله يوم القيامة فإنه لا أساس لوجود حد الردة فى الإسلام ولا غيره من الحدود لأن الذى يستحل الزنا ويزنى ويستحل السرقة ويسرق هو فى حكم الإسلام مرتدًا ولا ضرورة هنا لأن يطبق عليه حد الزنا أو حد السرقة إعمالاً لحرية العقيدة التى يقصدها صاحب الرد وهذا كلام غير مقبول على الإطلاق .

ثم إن علاء حامد عندما كتب « مسافة فى عقل رجل » التى أدانها الأزهر وَقُدِّمَ للمحاكمة من أجلها لم يعلن أنه قد ارتد عن الإسلام حتى نبحث فى جواز تطبيق حد الردة عليه أم عدم جوازه وإنما أقر بأنه مسلم وَرَغم ذلك

قام بإنكار كل ما جاء به الإسلام وتطاول على غيره من الأديان والرسل والأنبياء فأى حرية للعقيدة فى أن يهدم الإنسان أمور عقيدته التى يؤمن بها وينكر كل شىء فيها ؟

إن حرية العقيدة فى الإسلام – كما سبق أن بَيَّنّا – حرية مكفولة ومسئولة وليست حرية مطلقة فكل فرد حر فى أن يتبع ما يشاء ويؤمن بما أراد ويمارس شعائر دينه شريطة ألا تكون هذه الممارسة دعوة لشرك أو فساد أو تعطيل لأداء المسلمين لشعائرهم أو طعناً فيها فليس من قبيل حرية العقيدة أن يخوض مسلم فى أمور عقيدته وما يتصل بها من مسلمات ويصل به تفكيره المنحرف إلى إنكار وجود الله وتسفيه الرسل والأنبياء .

وقد وَسَّعَ الإسلام صدره لمن أراد المجادلة والمناقشة القائمة على العلم والفكر لا التعريض والإفساد فَقَرَّرَ حرية المناقشات الدينية والجدل المنطقى فيها لتمكين الناس من الوصول إلى الدين الحق والإيمان المُطْلَقِ به وبأحكامه ، وكل ذلك دون أن تنقلب المناقشة إلى عمد مضاد يمثل محاربة للدين أو عرقلة له وتقويضاً لدعائمه كما حدث فيما كتبه علاء حامد وأدانه الأزهر بسببه .

ثم إن حرية التفكير التى أشار إليها صاحب الرد ليست حرية مطلقة كما يظن ولكنها حرية مُقَيَّدَة ومنضبطة بما ورد فى التشريع الإسلامى من أحكام قطعية وأصول ومبادئ عامة تعتبر من أركان الدين والشريعة . وهى حرية مكفولة للجميع بشرط ألا ينتج عنها ما يحمل على الفوضى أو يشير إلى الفساد والإفساد أو تكون وسيلة لهدم أسس الإسلام التى جاء بها الشرع .

فالإسلام – كما ذكرنا – لم يضع قيدًا على حرية الفكر إلا حماية للدين باعتباره أول الضرورات للإنسان وحفاظاً على أركانه وأصوله وتشريعاته فليس من حق شخص يَدَّعى أنه يُفَكِّر ثم يصل بتفكيره هذا إلى نفى الألوهية أو الرسالات السماوية أو الطعن فى مُسَلَّمَاتِ العقيدة وإعلان ذلك على الناس . فالمعتقدات الأساسية فى الإسلام والأصول المقررة فى الشريعة ينبغى أن تكون فوق حرية الفكر وحرية الرأى وليس هذا قيدًا على الحرية وإنما ضمان حقيقى لها .

● **النقطة الثالثة** : وقال صاحب الرد على تقرير الأزهر فى النقطة الثالثة : « وكانت السُّنَّة الحقيقية للنبى عليه السلام وهو فى المدينة أن يترك المنافقين بلا عقوبة مكتفياً بما أُعَدَّهُ الله لهم من الدَّرْكِ الأَسْفَلِ من النار ، وسيرة النبى - ﷺ - تؤكد أنه لم يَقْتُل منافقاً بل إن كبير المنافقين « عبد الله بن أُبَىّ » الذى كاد للمسلمين مات فى فراشه .

وذلك المنهج الذى سار عليه النبى - ﷺ - كان تطبيقاً لأوامر الله تعالى فى القرآن الكريم .

فقد كان المنافقون فى المدينة يرتكبون جرائم فى حق الإسلام والمسلمين منها موالاة الكافرين أعداء المسلمين والاستهزاء بآيات الله والكفر بها علناً وسط تجمع المسلمين ، ومنها التأرجح فى التأييد عند الحرب بين جيش المسلمين وجيش الكافرين انتهازاً للفرصة الأحسن ولأن يكونوا مع الغالب ، ومع تلك الجرائم التى توصف فى عصرنا بأنها خيانة عظمى فإن الله تعالى أرجأ حسابهم وعذابهم إلى يوم القيامة وفرض على المسلمين أن يعرضوا عنهم فقط ولتقرأ معنى ذلك كله فى قوله تعالى : ﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بأن لهم عذابًا أليماً * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العِزَّة فإِنَّ العِزَّة لله جميعاً * وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سَمِعْتُم آيات الله يُكْفَرُ بها وَيُسْتَهْزَأُ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذًا مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً** ﴾[١].

كان المنافقون يسخرون بالنبى - ﷺ - يدخلون عليه يقدمون فروض الطاعة والولاء ثم يخرجون من عنده يتآمرون عليه وينزل الوحى يخبره بكيدهم ويأمره فى نفس الوقت بالإعراض عنهم لأنه ليس حفيظاً عليهم ولا بهم وأن الله تعالى هو الذى سيتولى حسابهم : ﴿ **من يُطِع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً * ويقولون طاعة فإذا بَرَزُوا من عندك بَيَّتَ طائفةٌ منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يُبَيِّتُون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** ﴾[٢].

---

(١) النساء / ١٣٨ - ١٤٠ . (٢) النساء / ٨٠ - ٨١ .

وكانوا يستهزئون بالله ورسوله والقرآن الكريم ونزل فيهم قوله تعالى :
﴿ قل استهزئوا إن الله مُخْرِجٌ ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كُنَّا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نُعَذِّب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾[1].

فالله هو الذى يعفو وهو الذى يعاقب .

وقد حكم القرآن بكفرهم وأرجأ عذابهم إلى الله فى الدنيا والآخرة ثم يقول صاحب الرد إن الدين الحق هو لله الحق وحق الله مرجعه لله وقد أعد الله لدينه الحق يومًا أسماه يوم الدين يقوم رب العِزَّة تعالى بالفصل بين النَّاس .

ونرد على صاحب الرد هنا بأن المنافقين كانوا يبطنون الكفر ويُظْهِرُون الإيمان وجزاءهم عند الله سبحانه لأنه المُطَّلع على ما فى قلوبهم ومعنى هذا أنه ليس هناك دليل مادى على ما يبطنونه من الكفر لأن مظهرهم يدل على الإيمان .

أما علاء حامد صاحب « مسافة فى عقل رجل » والذى يدافع عنه صاحب الرد على تقرير الأزهر فإنه لم يبطن الكفر فقط بل أعلنه فى كتاب وسعى فى نشره بين الناس حين طبعه على نفقته وأصبح هذا الكتاب دليلاً مادياً يستوجب مؤاخذته عليه .

وإذا كان الوحى قد أمر الرسول - ﷺ - والمؤمنين بالإعراض عن المنافقين فذلك لأن الرسول ليس حفيظاً بهم أى أنه لا يسمع ما يقولونه وإن أخبره الوحى به ، أما صاحب الكتاب فإنه أظهر كُفْرَهُ وإلحَادَه فيما نشره وأصبح الكل بدءًا من حاكم الدولة إلى أصغر مثقف فيها حفيظاً بما فعل أى يعلمه علم اليقين وبالتالى استوجب الأمر هنا محاسبته لأن كفره وإلحاده هنا لا يقتصر به على نفسه بل سعى إلى نشره بين الناس .

وإذا عَدَدْنا صاحب هذا الكتاب من المنافقين كما يقصد صاحب الرد فى هذه النقطة فلماذا لم يعمل « صاحب الرد » بما يقول ويعرض عنه كما أمر

---

(١) التوبة /٦٤ - ٦٦ .

الحق سبحانه المسلمين :

﴿ وقدنزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكْفَرُ بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً ﴾(1).

إن صاحب الرد خالف هذه الآية التى استشهد بها حين قرأ الكتاب وأجهد نفسه فى الرد على تقرير الأزهر ودافع عن المؤلف ولم يكتف فقط بالاستماع إلى ما يقول بل سَجَّل رده هذا ليؤكد على أنه مثل المؤلف وقد سبق أن أشرنا إلى أنه ممن يُنْكِرُون السُّنَّة المطهرة وله أفكار إلحادية فُصِلَ بسببها من الأزهر الشريف .

وأما مسألة أن الله سبحانه هو الذى يعفو وهو الذى يعاقب والتى أشار إليها د . صبحى منصور فى رده فإنها لا تعنى أن يترك المسىء إلى يوم الدين ليأخذ عقابه من الله دون أن ينال العذاب فى الدنيا ولو كان الأمر كذلك ما كان القِصَاصُ فى الإسلام وما كانت الحدود الإسلامية كحد الزنا وحد السرقة وحد شرب الخمر وحد البغى وحد الحرابة وحد القذف وحد الرِّدَة وهى حدود ثابتة بنص القرآن والسنة .

فمسألة الثواب والعقاب هذه مسألة دنيوية وأخروية فى نفس الوقت وهناك باب واسع فى الفقه الإسلامى يسمى باب « التشريع العقابى فى الإسلام » وهذا التشريع يعطى للحاكم المسلم سُلْطة التعزير فى الجرائم التى ترتكب فى المجتمع وتمس أمنه واستقراره ولم يرد بها نص أو تشريع وهذا التعزير يبدأ من الإهانة والضرب والحبس وقد يصل إلى القتل .

وأعتقد أن مؤلف الكتاب هنا حين حَكَمَت المحكمة عليه بالسجن ثمانى سنوات إنما طَبَّقَت عليه عقوبة تعزيرية فرضها القانون الوضعى وهذه من سلطات الحاكم ولم يُطَبَّق عليه حَدُّ الرِّدَة ثم إن مسألة العقاب فى الدنيا قبل يوم القيامة واردة على طول التاريخ الإسلامى وتاريخ الأمم السابقة ويعلمها صاحب الرَّدِّ جيدًا بحكم تخصصه العلمى الأزهرى وبخاصة من كفروا بالله

---

(1) النساء / ١٤٠ .

سبحانه .. ففرعون ، وقارون ، وقوم عاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وقوم نوح ، كل هؤلاء كان عقابهم فى الدنيا إلى جانب عقاب الآخرة إما : بالغرق فى البحر ، أو بالطوفان ، أو بالخسف ، أو بالريح أو بالطاغية وهذه كلها أمور ثابتة بنص القرآن الكريم ولنا أن ننظر فى قصة ذى القرنين وهو من الملوك الصالحين الذين وهبهم الله قوة الأسباب لنرى أن العذاب فى الدنيا قبل الآخرة أمْرٌ واردٌ للظالمين والفاسقين قال تعالى : ﴿ **فأتبع سبباً * حتى إذا بلغ مَغْرِبَ الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حُسْنًا * قال أمَّا من ظلم فسوف نُعَذِّبُهُ ثم يُرَدُّ إلى ربه فَيُعَذِّبُه عذاباً نُكْرا * وأمَّا من آمن وَعَمِلَ صالحاً فله جزاءً الحُسنى وسنقول له من أمرنا يسرًا** ﴾[1].

فالعذاب والعقاب فى الدنيا يا صاحب الرد وارد ولو بعقوبة تعزيرية يفرضها أولو الأمر حِفَاظاً على أمن المجتمع واستقراره ومنعاً من انتشار الكفر والإلحاد وما يترتب عليهما من فتن .

وأما مسألة ترك المنافقين بلا عقوبة واستدلال صاحب الرد بأن رسول الله – ﷺ – لم يقتل منافقاً فهى مسألة تَحَدَّث فيها كثير من الأئمة ومنهم الإمام ابن تيمية الذى أفتى بجواز قتل الزِّنْديق والمنافق من غير استتابة واستدل على ذلك بمجموعة من الآيات منها قوله تعالى :[2]. ﴿ **ومنهم من يقول ائذن لى ولا تَفْتِنِّى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لَمُحِيطَةٌ بالكافرين** ﴾[3] إلى قوله تعالى : ﴿ **قل هل تَرَبصُونَ بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون** ﴾[4].

فقد قال أهل التفسير « أو بأيدينا » يعنى بالقتل إن أظهرتم ما فى قلوبكم ، وهو كما قالوا : لأن العذاب على ما يبطنونه من النفاق بأيدينا لا يكون إلا القتل بكفرهم .

---

(١) الكهف /٨٥ – ٨٨ .

(٢) ابن تيمية – الصارم المسلول على شاتم الرسول .

(٣) التوبة /٤٩ .   (٤) التوبة /٥٢ .

وقال قتادة وغيره فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدُوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يُرَدُّون إلى عذاب عظيم** ﴾[1]. المرتان هنا : فى الدنيا : القتل ، وفى البرزخ : عذاب القبر .

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ **يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** ﴾[2].

وقوله : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكُفْرِ وكفروا بعد إسلامهم** ﴾[3].

وقوله : ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنَّك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون * اتخذوا أَيْمَانهم جُنَّةً فَصَدُّوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾[4].

وقوله : ﴿ **يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون** ﴾[5].

فكل هذه الآيات دلت على أن المنافقين كانوا يرضون المؤمنين بالأَيْمان الكاذبة وينكرون أنهم كفروا ويحلفون أنهم لم يتكلموا بكلمة الكفر .

وهذا دليل على أنهم يقتلون إذا ثبت ذلك عليهم بالبينة ، لوجوه :

أحدها : أنهم لو أظهروا التوبة قبل ذلك لم يحتاجوا إلى الحلف والإنكار ولقالوا : قلنا وقد تبنا ، فعلم أنهم كانوا يخافون إذا ظهر ذلك عليهم أنهم يعاقبون من غير استتابة .

والثانى : أن الحق سبحانه قال : ﴿ **اتخذوا أَيْمانَهُم جُنَّةً** ﴾ ، واليمين إنما تكون جُنَّةً إذا لم نأت ببينة عادلة تكذبها فإذا كذبتها ببينة عادلة انخرقت الجُنَّة فجاز قتلهم .

والثالث : إن الآيات دليل على أن المنافقين إنما عَصَمَ دماءهم الكذب والإنكار ومعلوم أن ذلك إنما يعصم إذا لم تقم بينة بخلافه ولذلك لم يقتلهم

---

(١) التوبة /١٠١ (٢) التوبة/ ٩٦ .
(٣) التوبة /٧٤ . (٤) المنافقون ١ ، ٢ . (٥) المجادلة /١٨ .

النبى – ﷺ – ويدل على ذلك أيضاً قوله سبحانه : ﴿ **يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر** ﴾[1].

ووجه الدليل هنا أن الله أمر رسوله عليه السلام بجهاد المنافقين كما أمره بجهاد الكافرين وأن جهادهم إنما يكون إذا ظهر منهم من القول أو الفعل ما يوجب العقوبة فإنه ما لم يظهر منهم شىء ألبتة لم يكن لنا سبيل عليهم فإذا ظهر منهم كلمة الكفر فجهادهم القتل .

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ **لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مَّرَضٌ والمُرْجِفُون فى المدينة لَنُغْرِيَنَّكَ بهم ثم لا يُجَاوِرُونك فيها إلا قليلا * ملعونين أينما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً * سُنَّةَ الله فى الذين خلوا من قَبل ...** ﴾[2].

فهذه الآية دلت على أن المنافقين إذا لم ينتهوا فإن الله يغرى نبيه بهم وأنهم لا يجاورونه بعد الإغراء بهم إلا قليلاً ، وإن ذلك فى حال كونهم ملعونين أينما وُجِدُوا وأصيبوا وأسروا وقتلوا وإنما يكون ذلك إذا أظهروا النفاق لأنه مادام مكتوماً لا يمكن قتلهم .

وأما قول صاحب الرَّدِّ بأن الرسول – ﷺ – لم يقتل المنافقين فقد رد عليه الإمام ابن تيمية وقال فى كتابه « الصارم المسلول على شاتم الرسول » أن النبى – ﷺ – لم يفعل ذلك لوجهين :

الأول : أن عامتهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة بل كانوا يظهرون الإسلام ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة يسمعها الرجل المؤمن فينقلها إلى النبى – ﷺ – فيحلفون بالله أنهم ما قالوها أو لا يحلفون وتارة بما يظهر من تأخرهم عن الصلاة والجهاد وظهور الكراهة منهم لكثير من أحكام الله وعامتهم يُعْرَفُون فى لحْنِ القولِ ثم إن جميع هؤلاء المنافقين كانوا يُظْهِرُون الإسلام ويحلفون أنهم مسلمون وقد اتخذوا أيمانهم جُنَّةً .

الوجه الثانى : أنه – عليه الصلاة والسلام – كان يخاف أن يتولد من

---

(١) التوبة /٧٣ – ٧٤ .

(٢) الأحزاب /٦٠ – ٦٢

قتلهم من الفساد أكثر مما فى استبقائهم وقد بَيَّن ذلك حين قال : « لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه » فإنه لو قتلهم بما يعلمه من كفرهم لأوشك أن يظن الظان أنه إنما قتلهم لأغراض وأحقاد وإنما قصده الاستعانة بهم على الملك كما قال : « أكْرَه أن تقول العرب لما ظهر بأصحابه أقبل يقتلهم » .

وحاصل ذلك أن الحد لم يقم على واحد بعينه لعدم ظهوره بالحجة الشرعية التى يعلمه بها الخاص والعام أو لعدم إمكان إقامته إلا مع تنفير أقوام من الدخول فى الإسلام وارتداد آخرين عنه .

ويزيد **ابن تيمية** هذا الأمر وضوحًا فيقول : ثم إن النبى - ﷺ - لما كان بمكة مستضعفاً هو وأصحابه عاجزين عن الجهاد أمرهم الله بكف أيديهم والصبر على أذى المشركين ، فلما هاجروا إلى المدينة وصار لهم دار عزة ومنعة أمرهم بالجهاد وبالكف عمن سالمهم وَكَفَّ يده عنهم « المنافقين » لأنه لو أمرهم إذ ذاك بإقامة الحدود على كل منافق لنفر عن الإسلام أكثر العرب إذا رأوا أن بعض من دخل فيه يُقتل وفى مثل هذه الحال نزل قوله تعالى : ﴿ **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهمْ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** ﴾[1].

وهذه السورة نزلت بالمدينة بعد الخندق فأمره الله فى تلك الحال أن يترك أذى الكافرين والمنافقين له فلا يكافئهم عليه لما يتولد فى مكافأتهم من الفتنة ولم يزل الأمر كذلك حتى فتحت مكة ودخلت العرب فى دين الله قاطبة ، ثم أخذ النبى عليه الصلاة والسلام فى غزو الروم وأنزل الله تبارك وتعالى سورة براءة وَكَمَّلَ شرائع الدين من الجهاد والحج والأمر بالمعروف فكان كمال الدين حين نزل قوله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾[2]. قبل الوفاة بأقل من ثلاثة أشهر ولما نزلت براءة أمره الله بنبذ العهود التى كانت للمشركين وقال فيها : ﴿ **يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾[3].

وهذه ناسخة لقوله تعالى : ﴿ **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم** ﴾[4] وذلك أنه لم يبق حينئذ للمنافق من يعينه لو أقيم عليه الحد ولم

---

(١) الأحزاب /٤٨ .(٢) المائدة/ ٣ . (٣) التوبة/ ٧٣ ، والتحريم/ ٩ . (٤) الأحزاب /٤٨ .

يبق حول المدينة من الكفار من يتحدث بأن محمداً يقتل أصحابه فأمره الله بجهادهم والإغلاظ عليهم ، وقد ذكر أهل العلم أن آية الأحزاب منسوخة بهذه الآية ونحوها ، وقال فى الأحزاب : ﴿ **لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لَنُغْرِيَنَّكَ بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا * ملعونين أينما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا** ﴾[1]. فحيثما كان للمنافق ظهور ونخاف من إقامة الحد عليه فتنة أكبر من بقائه عملنا بآية ﴿ **ودَعْ أذاهم** ﴾[2]، كما أنه حيث عجزنا عن جهاد الكفار عملنا بآية الكف عنهم والصفح ، وحيث ما حصلت القوة والعزة خوطبنا بقوله : ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين** ﴾[3].

● **النقطة الرابعة** : وفى النقطة الرابعة يقول الدكتور أحمد صبحى منصور : « إن وظيفة الأزهر طبقاً للقانون ١٠٣ لسنة١٩٦٠ هى العمل على إظهار حقائق الإسلام فى مواجهة الآخرين وحقائق الإسلام إذا وجدت عالماً مجتهدًا يستطيع إظهارها فإن الباطل لا يمكن أن يصمد أمامها مهما بلغ بهرجته ﴿ **فأما الزَّبَدُ فيذهب جُفَاءً وأمَّا ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾[4].

وإيصال حقائق الإسلام للناس ينبغى أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة والدعاء بالهداية للخير ولنأخذ نموذجاً قرآنياً فى النقاش مع الخصوم ﴿ **قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إيَّاكم لَعَلَى هدى أو فى ضلال مبين * قل لا تُسألون عَمَّا أجرمنا ولا نُسأل عما تعملون** ﴾[5].

ولكن ما يدعو للأسف أن بعض المنوط بهم إظهار حقائق الإسلام لا يعرفونها ولا يعرفون أسلوب النقاش مع الخصوم ويغطون عجزهم العلمى بالاستنجاد بالسلطة السياسية لتقوم عنهم بمعاقبة من يخالفهم فى الرأى سواء كان على حق أم على باطل .

ثم يقول : إن من حقائق الإسلام الثابتة حرية العقيدة وأن الله تعالى شاء أن يكون عقل الإنسان حُرًّا فى التفكير ولكن بعض الناس يريد أن يتحكم فيما رغب عن التحكم فيه رَبُّ العزة جل وعلا .

---

(١) الأحزاب /٦٠ - ٦١ .
(٢) الأحزاب /٤٨ . (٣) التوبة /٧٣ . (٤) الرعد /١٧ . (٥) سبأ /٢٤ - ٢٥ .

إن الله تعالى لم يعط للنبى - ﷺ - سلطة فى التحكم فى عقائد الناس وفى تعبيرهم عن هذه العقائد مهما خالفت القرآن ولكن بعض الأزهريين أعطى نفسه حقًا لم يعطه الله تعالى لخاتم النبيين - عليه السلام - والمؤسف بعدها أنه يعتبر نفسه معبرًا عن دين الله مع أن دين الإسلام لا مكان فيه للكهنوت ومحاكم التفتيش .

ثم يقول : وكم نرجو - حرصاً على الوطن وحباً فى الإسلام الحقيقى - ألا يكون لمجمع البحوث سلطة على الفكر وحركة التأليف وأن يقتصر واجبه على التوجيه والنقاش دون أن يصل ذلك إلى المساءلة والعقاب وكفى به حينئذ أن يفخر بريادة التفكير الدينى لا أن يكون محاكم تفتيش للعقل المسلم ، والأمل معقود فى الغيورين على الإسلام والوطن والفكر فى تعديل قانون مجمع البحوث حتى لا تظل تلك المتاريس التى تعطل العقل المسلم عن التفكير وعن النقاش وعن الدفاع عن دين الله تعالى » .

والواضح فى هذه النقطة من الرد على تقرير الأزهر أن صاحب الرد يحاول التهجم على مجمع البحوث الإسلامية والنيل من نزاهته ونزاهة أعضائه ، ويحاول تصوير هؤلاء الأعضاء بأنهم جبابرة يحملون السلاح على صاحب الفكر المنحرف ويعقدون له محاكم تفتيش ويفرضون سيطرتهم على الفكر ولا يعرفون أسلوب النقاش مع الخصوم ويغطون عجزهم العلمى بالاستنجاد بالسلطة السياسية ، ويريدون الناس عبيدًا لأفكارهم وكل هذه اتهامات لا أساس لها من الصِّحَّــة فالذى يقرأ تقرير الأزهر من أوله إلى آخره يدرك تمام الإدراك أن الأزهر فى هذا التقرير لم يقم بأكثر من واجبه الذى يفرضه عليه القانون الذى ينظمه والذى يفرضه الإسلام على علمائه فالمحكمة الإدارية طلبت من الأزهر أن يدرس الكتاب محل النزاع ويكتب تقريرًا عما جاء فيه من أفكار وحكم الشرع فيها وهذا هو ما قام به مجمع البحوث الإسلامية بالتحديد ولم يفعله شخص واحد - كما تصور المؤلف وصاحب الرد - ولكن لجنة من العلماء تشكلت لهذا الغرض وانتهت إلى هذا التقرير ، وإذا كان التقرير قد أشار إلى بعض نصوص ومواد قانون العقوبات التى تدين المؤلف فليس معنى ذلك أنه قد حاكم صاحب فكر أو عقد له محاكم تفتيش أو فرض سيطرته على

فكره كما يدعى صاحب الرد ، وخير دليل على ذلك أن مؤلف الكتاب حوكم أمام محكمة نظمها قانون وضعى وحكمت عليه بالسجن ولم يحاكم أمام محكمة شرعية .

ويحاول صاحب الرد هنا الدفاع عن المؤلف استنادًا إلى حرية العقيدة وإنى أقول له هنا إن حرية العقيدة التى تتحدث عنها ولا تعرفها لها حدود ولا يدخل فى إطارها أبدًا حرية إنكار وجود الله والاستهزاء بالرسل والأنبياء والتشكيك فى العقيدة وهدم الأديان فهذا إسفاف وزندقة لا علاقة لهما بحرية العقيدة ، فمن قال فى القديم أو الحديث إن من حرية العقيدة سَبِّ الأديان والتهجم عليها والاستهزاء بالرسل والأنبياء ؟

وبعد هذه النقاط الأربع التى يرد بها د . أحمد صبحى منصور على بيان الأزهر والتى فندناها يحاول الادعاء بأن تقرير الأزهر مخالف للمتوارث فى فكر المسلمين وحضارتهم مدافعاً بذلك عن إلحاد علاء حامد فى كتابه محل البحث فيقول :

« إذا افترضنا حدوث إلحاد فى كتاب « مسافة فى عقل رجل » وقع فيه المؤلف علاء حامد فإنه ليس بِدْعًا فى ذلك وكتابه ليس أول كتاب يحوى ذلك فقد سبقه على الطريق أئمة من كبار العلماء والأشياخ فى تاريخ المسلمين وكتبهم تنطق بذلك والمضحك والمؤسف أن مجمع البحوث نفسه يدافع عن أولئك الأشياخ وعن كتبهم وأشعارهم ، وأنه يتهم بالكفر من يناقش أولئك الأشياخ ومن يدعو إلى مراجعة كتبهم ثم هو فى نفس الوقت يتصدى لمؤلف مغمور أصدر كتاباً غير مقروء وغير معروف لأنه قال ما لا يمكن مقارنته بأقاويل الأشياخ المقدسين .

ويعمد صاحب الرد إلى التدليل على كلامه ببعض أقاويل الصوفية وبعض أهازيلهم التى لا أساس بها من قرآن ولا سنة ولا شرع ولا ينبغى أبدًا أن نقارن بينها وبين ما شطح إليه علاء حامد فى كتابه الذى أنكر فيه كل شيء و تطاول على كل مقدس واستهزأ بالأديان السماوية جميعاً .

ولا يكتفى د . صبحى منصور بذلك بل يعمد إلى النيل من كتب الحديث الصحيحة وعلى رأسها صحيح البخارى فيقول : « وإذا تركنا كتب

التصوف وأشياخ الصوفية وانتقلنا إلى كتب الحديث وجدنا ما تقشعر منه الأبدان وتكفى قراءة سريعة لأبواب الطهارة والنكاح فى كتب البخارى لنرى كيف افتروا على النبى – عليه السلام – أنه كان يباشر نسائه فى المحيض وأنه كان يطوف على نسائه جميعاً بغسل واحد وأنه أعطى قوة ثلاثين رجلاً فى الجماع إلى آخر ذلك الافتراء الذى يخالف القرآن الكريم والذى تبرأ منه خاتم الأنبياء والذى هو بحاجة إلى مراجعة ومناقشة لتنقى سيرة النبى من ذلك الافتراء ، ولكن الذى يقف عقبة أمام تبرئة الرسول – عليه السلام – من ذلك هم أنفسهم بعض الموظفين الذين يسيطرون على مجمع البحوث الإسلامية فهم على استعداد تام لاتهام أى باحث حريص على دينه بالكفر إذا اقترب من تنقية التراث وهنا يكمن العجب الذى يبعث على البكاء فأولئك الموظفون الذين تسللوا إلى أعلى جهة بحث إسلامية يتصدون لأى كاتب إذا قال عشر معشار ما قاله أئمة محسوبون على الإسلام مثل أئمة الصوفية .

وهم – أى أولئك الموظفون – يدافعون بكل ما لديهم من نفوذ عن أقاويل أولئك الأئمة وفيها افتراء على الله ورسوله ودينه وكتابه . وفى كلتا الحالتين هم أشد ضررًا على الإسلام من ذلك الذى يتهمونه بأنه ألحد فى دين الله » .

ثم يقول : « لقد تحول الإسلام إلى قضية سياسية يحمل لواءها الذين يتخذون من الإسلام مطية لأطماعهم السياسية وهم بذلك يهددون الإسلام والوطن معاً والحل هو المزيد من حرية الفكر لكل الاتجاهات وفى النهاية فلن يصح إلا الصحيح ولا يمكن أن تتقرر حرية الفكر إذا كان هناك من يستطيع بحكم القانون أن يتسلط على أعناق المؤلفين والمفكرين .

ولنتذكر أنه فى عهد الرسول – ﷺ – العصر الذهبى للإسلام عاش الناس أروع فترة فى الحرية الفكرية والدينية حيث لا إكراه فى الدين ولا مجمع بحوث وكان ذلك منذ ١٤٠٠ عام ، ومن المحزن أن تعود للظهور محاكم تفتيش فى مصر ونحن على أعتاب القرن الحادى والعشرين بعد أن انقرضت من أوربا منذ ألف عام » .

ولقد تعرض صاحب الرد على تقرير الأزهر فى هذا الجزء من رده لمسألة تنقية التراث وما جاء فى بعض كتبه من أمور خارجة عن الدين ومن شطحات صوفية وغيرها .

ونحن نقول له بكل جرأة إن كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا رسول الله - ﷺ - فالعلماء السابقون من الأئمة وغيرهم ليسوا معصومين من الخطأ فى الرأى والفكر وإذا كان أحدهم قد أخطأ فهذا ليس مبررًا لمثلك فى الدفاع عن الباطل الذى اقترفه علاء حامد فى كتابه ، ثم إن كتب هؤلاء الأئمة لم تصل إلينا كما وضعوها بل اعترضتها أيدى المغرضين والمحرفين واليهود الذين دسوا فيها السم ووضعوا فيها الإسرائيليات ليطعنوا بطريقة غير مباشرة فى أصحاب هذه الكتب ويهزوا ثقة القراء المسلمين فيهم وإذا كانت بعض هذه الكتب فى حاجة إلى تنقية فالأزهر وعلى رأسه مجمع البحوث الإسلامية أول من ينادى بذلك وقد قام - على حد علمى - بتحقيق عدد كبير من كتب التراث وتنقيتها ، ولا أعتقد أنه يتهم كل باحث حريص على دينه بالكفر إذا اقترب من تنقية التراث - كما يقول صاحب الرد - أما محاولات بعض المغرضين لتشويه التراث وتخريبه وموقف الأزهر منهم فهذه قضية أخرى .

وإذا حدث واحتوت بعض كتب التراث على شطحات أو انحرافات فكرية فهذا ليس مبررًا لأن يقوم كل صاحب قلم بالطعن فى الإسلام والاستهزاء بالعقيدة ثم يجد من يدافع عنه وعما كتب استنادا إلى أن فى كتب التراث ماهو أشد من ذلك كفرًا ، فالقياس هنا قياس خاطىء ولا يصح أن نبرر الخطأ بخطأ مثله .



المبحث الرابع

شهادة أدبية تدين المؤلف والرواية

إذا كان **علاء حامد** قد اتهم تقرير **الأزهر** حول روايته الملحدة « **مسافة في عقل رجل** » مُدَّعياً أن التقرير قد قال فى **الرواية** ما لم يقل فإننا نسوق هنا بعض القراءات النقدية التى كتبها الأدباء حول الرواية وهى فى حقيقتها إدانة للمؤلف .

ففى مجلة **شباب بلادى** كتب الأديب **محمد الجمل** فى ٢٥ يونيو ١٩٨٨ م رؤية نقدية حول الرواية تحت عنوان : « قصة كفكاوية فى الأدب المصرى » يقول :

« القصة أشبه برحلة شاقة مريرة يقطعها بطل يبحث عن الذات والهوية ، وبطل الرواية هو علاء حامد بشحمه ولحمه ، بفكره ، بإحباطاته وأحلامه .

والمؤلف يصدم القارئ فى البداية بالخروج على كل ما هو معتاد ومألوف من الأفكار والمعتقدات ، وهذه الرواية فى الحقيقة يمكن أن تندرج تحت اتجاه الأدب الوجودى فى الرواية المصرية المعاصرة وهى من نوع الأدب الوجودى الملتزم حيث يبدأ بطل الرواية رحلته من شاطىء الحيرة والشك وينهال بفأسه ليجتث جذور كل ما هو راسخ وقديم ولم يعد يصلح لحياة العصر .

والرواية تذكرنا برواية « المحاكم » للأديب الألمانى « فرانز كافكا » حيث تنتهى الروايتان بمحاكمة البطل إلا أن بطل كافكا ينتهى إلى العدمية واللاجدوى من الحياة وبطل علاء حامد يجد الخلاص فى النظرة العقلانية والمتغيرة التى تحقق سعادة الإنسان وتحلق به فى آفاق المدينة الفاضلة التى هى « الجنة على الأرض » .

والحقيقة إن هذه الرواية تذكرنا بروايات أدباء عصر النهضة الأوربية من حيث المضمون فقد ثار أدباء هذا العصر على تحالف البلاط الملكى والكنيسة والإقطاع ومهدوا بذلك إلى الاحتكام للعقل وغلبة النظرة العقلانية .

ثم يقول محمد الجمل : ولكنى – للأمانة – أختلف مع الكاتب فيما ذهب إليه من أن النظرة العقلية المحضة يمكن أن تصنع المدينة الفاضلة والجنة على الأرض وأنا أحتكم فى ذلك إلى دليل تاريخى فعندما نادت أوربا بسيادة العقل منذ عصر النهضة حتى الحرب العالمية الثانية جاء بعد نهايتها أدباء ومفكرون مثل مولبير ولسون وبونسكو ليعلنوا سقوط العقل الذى أدى بهم إلى الكوارث والحروب الطاحنة ، ولكن ذلك لا يعنى إلغاء العقل مثلما لا يعنى إلغاء القيم الخلقية البناءة المستوحاة من الأديان مما يدعونا إلى أخذ كل ماهو جميل وبناء من تراثنا وكل ماهو حضارى مبتكر من الحضارات الأخرى أخذاً بمبدأ الأصالة والمعاصرة » .

● وفى مجلة **روز اليوسف** كتب الناقد الأدبى **إبراهيم فتحى** فى ١٨ فبراير ١٩٩١ م تحت عنوان « **قراءة فى رواية مصادرة** » يقول : **مسافة فى عقل رجل** قصة خيالية تدور فى ذهن شخصية منقسمة على نفسها فقدت كل يقين ووقعت فريسة للشك وانعدام الطمأنينة العقلية وساورتها الريبة فيما يتعلق بالمسلمات والقيم السائدة وتلك الشخصية تشبه آلاف الناس فى الشرق والغرب يقيمون حياتهم على الربا والخمور والمواخير البشرية والسياسية والظلم المقنن ثم يقول : نحن أمام رواية تصور حالة فكرية هى حالة الشك والهواجس ووثوب الأسئلة المحيرة تنهش العقول وتعجز عن الخروج منها العقول ، وهنا لا نجد صراعًا فلسفياً بين أفكار الشك والإلحاد وأفكار الإيمان بل صورة أدبية خيالية لحالة وجدانية تجسد الاضطراب والاهتزاز وعلى الرغم من أن أفكارًا إلحادية تنهش عقل البطل فى تعبيرات محددة إلا أنها تملأه تعاسة وشقاء ويقترب بعقله من الجنون ولا يشجعنا سياق القصة على التعاطف مع هذه الأفكار عالية الصوت شديدة الضجيج فهى فتنة للعقل وتدفع البطل إلى مهاوى الذل والعار .

وخلاصة القول أن هذه حالة نفسية مصورة ، حالة خلل يعبر السياق عن حدته وقسوته ولا يحرضنا على التعاطف مع الشك والإلحاد ، ولسنا أمام محاورة فلسفية متسقة تنتقل من مقدمات إلى نتائج منطقية بل أمام خيالات

وقوى نفسية خفية وإحباطات على الرغم من أن هذه الخيالات تأخذ فى الأزمة المرضية شكل هجوم حقير على المسلمات الدينية فى ذهن مخبول » .

● وفى ٣ يناير ١٩٩٢ م وبعد صدور الحكم بالسجن على المؤلف نشرت مجلة « **المصور** » تحليلاً عن الرواية **ليوسف القعيد** قال فيه : « من الصعب تلخيص الرواية لافتقارها العمود الفقرى لأى نص أدبى ألا وهو النص ، وهى رحلة يقوم بها البطل فى الجنة ومعه آدم أبو البشر ويقابل خلال هذه الرحلة أنبياء الله جميعاً ويناقشهم فى المعجزات التى أتوا بها وفى النهاية تتم محاكمة البطل ويحكم عليه بالإعدام .

وباعتبارى روائياً فقد قرأت الرواية موضوع الدعوى وبصراحة تامة لم تستهونى طريقة كتابتها ، لم أشعر بأى متعة وأنا أقرؤها هذا بصرف النظر عن الاختلاف المشروع حول ما تذهب إليه الرواية وما تحاول تقديمه . ويخيل إلىّ أن الكاتب أصابه تعب حقيقى من طول المسافة وبعد المشقة من الضنى والتعب والكتابة دون أن يكون هناك أثر ما لكل هذا ، أتصور أنه كاتب وحيد يعانى من حالة عزلة أوصلته الكتابة بدون شهرة والتعب من غير عائد إلى الضفة الأخرى لليأس .

وانطلاقاً من أرضية المأزوم قَرَّرَ أن يعلن الحرب على الجميع مؤمناً بأن ألف كاتب طليق حر لن يصلوا أبدًا إلى شهرة كاتب واحد فى السجن .

ربما اكتشف المؤلف أن الاستشهاد الذى هو أقرب إلى الانتحار هو المخرج الوحيد من أزمته فقَرَّر أن يضرب عرض الحائط بكل ما فى هذا الواقع وليكن ما يكون فإن كانت الشهرة الملعونة لم تأت بالطرق العادية فلابد من الوصول إليها من خلال مغامرة هى أقرب إلى الجنون .

● **وفى ١ يناير ١٩٩٢ م كتب أحمد عبد المعطى حجازى مقالاً بجريدة الأهرام** قال فيه :

« لقد ألف هذا الكاتب رواية رأى فيها البعض ما يمس عقائدنا الدينية ، وأنا لم أقرأ هذه الرواية ولا أستطيع أن أحكم لها أو عليها من الوجهة الفنية ، كما أنى استنكر أى استخفاف بالمشاعر الدينية وأرى أن الكاتب الذى ينبى

سمعته ويستجلب شهرته بهذا الطريق كاتب فاشل .

وأن الحركة الثقافية المصرية كانت تستطيع أن تتجنب هذه النتيجة المأساوية التى أطارت شهرة علاء حامد فى أركان المعمورة كما لا تستطيع أن تفعل جائزة نوبل لو حصل عليها .



المبحث الخامس

المدافعون عن المؤلف من العلمانيين والشيوعيين

انبرى للدفاع عن مؤلف « **مسافة فى عقل رجل** » بعض الصحف المصرية ذات الطابع العلمانى أو الشيوعى تحت دعوى حرية الفكر والعقيدة ورجعت فى دفاعها إلى آراء بعض العلمانيين والشيوعيين الذين دافعوا عن الرواية ومؤلفها .

ومن هذه الصحف **جريدة الأهالى** المصرية لسان حال حزب التجمع وهو حزب الشيوعيين فى مصر ، فبعد صدور حكم المحكمة على المؤلف وفى ١ يناير ١٩٩٢ م نشرت الصحيفة موضوعًا مطولاً تحت عنوان : « **٨ سنوات سجن لمؤلف** » أوردت فيه خلفية كاملة للقضية وأشارت فيه إلى **تقرير الأزهر** ضد الكتاب وإلى رد الدكتور **أحمد صبحى منصور** على تقرير الأزهر والذى وصفه فيه بأنه مخالف للتشريع الإسلامى .

كما أوردت فيه البيان الذى أصدرته المنظمة المصرية لحقوق الإنسان حول الكاتب وروايته والذى يدعو نائب الحاكم العسكرى إلى عدم التصديق على الحكم باعتبار أن هذا الحكم يشكل انتهاكاً لحرية الرأى والتعبير والإبداع الفنى والأدبى وسُبَّة فى جبين مصر التى لم تعرف فى تاريخها الحديث سجن أديب بسبب أعماله الروائية .

واستطلعت الجريدة آراء الكُتَّاب والمثقفين الذين دافعوا عن المؤلف ومنهم الشاعر **أحمد عبد المعطى حجازى** الذى هاجم قانون الطوارئ المصرى وطالب بوقفه لأن الحكم صدر بموجبه و**محمد فايق** أمين عام المنظمة المصرية لحقوق الإنسان الذى وصف الحكم بالقسوة وقال إن ذلك يمكن أن يؤثر على مستقبل حركة النشر والفكر فى العالم العربى .

ومنهم **د . إسماعيل صبرى عبد الله** الذى يعتبر حبس المؤلف صدمة لأى

مواطن يؤمن بحرية الرأى والتعبير .

والكاتب **محمد عودة** الذى يرى أن هذا الإجراء يهدد الازدهار الثقافى وهو أثمن ما تملكه مصر .

ومنهم **نبيل الهلالى** المحامى عن المتهمين والذى قال فى مذكرته القانونية التى نشرتها الجريدة : إن مؤلف الرواية ينفرد عن كل المتهمين - ظلماً - فى مصر بالتطاول على الأديان والإلحاد بالوقوف فى قفص الاتهام وبتحريك الدعوى العمومية ضده وبمطالبة النيابة العمومية بمعاقبته جنائياً لا لشىء إلا إن بعض المتهوسين والمتزمتين أثاروا ضجة حول الكتاب ، فإذا بالدولة التى تدعى محاربة التعصب والتطرف الدينى تخضع للابتزاز وتمارس منهج التكفير ضد المفكرين والمبدعين ، ومن المضحك أن الكتاب موضوع الدعوى صدر عام ١٩٨٨ م وأودع فى هيئة الكتاب لإيداعه فى دار الكتب المصرية فى ١١ أبريل ١٩٨٨ م وطرح فى الأسواق منذ بداية ٨٨ وتم طبعه فى مصر حيث لا يطبع إلا بعد إجازته من الرقابة الخَفِيَّة التى تفرضها مباحث أمن الدولة على المطبوعات كما أن مؤسسة مملوكة للدولة هى التى قامت بتوزيعه وتسويقه تحت سمع وبصر أجهزة الأمن .

ودافع د . حسن حنفى عن المؤلف بقوله : إن الفكر والأدب حق طبيعى للإنسان يكفله الدستور الذى يكفل حرية التعبير والاعتقاد والحركة حتى لو كان هناك خلاف فى الرأى حول عمل فكرى أو أدبى فإن القضاء ليس هو السبيل لحل الخلاف بل الرد على الفكر بالفكر وتطبيق مقاييس النقد الفنى وحده كمعيار للأعمال الأدبية .

وفى نفس العدد من **جريدة الأهالى** كتب الصحفى **عبد الوارث الدسوقى** يقول : إن جرائم الفكر لا يجب أن تعالج جنائياً بل تعالج بالحوار والمناقشة والوسيلة الوحيدة للوصول إلى حل القضايا هى طرح هذه القضايا للحوار حتى يستطيع كل من يهمه الأمر إبداء رأيه .

وفى التاريخ الإسلامى هناك العديد من القضايا الخلافية ولم يتهم أحد بالكفر والإلحاد وهذه القضايا الخلافية موجودة حتى الآن فى كتب التاريخ .

وفى ٣ يناير ١٩٩٢ م وبعد صدور الحكم بالسجن على المؤلف نشرت **مجلة المصور** موضوعًا عن القضية وصفت فيه الحكم بأنه **أخطر حكم فى القرن العشرين** وقال **يوسف القعيد** كاتب الموضوع : منذ صدور الحكم وفى أوساط المثقفين حالة من الصدمة تصل إلى حد الهلع والرعب لأنه فى كل القضايا المماثلة السابقة كان هناك اكتفاء بمصادرة العمل دون أى حكم ضد صاحبه أو طابعه أو ناشره .

وقال : إننى لم أقرأ أيًّا من أعمال **علاء حامد** حتى يكون لى رأى فيها ولم أقابل كاتباً اعترف أنه قرأ أحد هذه الأعمال أو بعضها ، ورغم متابعتى الدءوبة والمستمرة للواقع الثقافى المصرى والعربى منذ منتصف الستينات وحتى الآن فلا أكاد أعرف هذا الرجل معرفة بالاسم أو الشخص ولم ألحظ أنه جزء من جماعة أو جيل أو اتجاه ذلك أن الكتابة الأدبية ليست عملية معملية يغلق فيها الكاتب أبواب بيته عليه ويكتب ثم يطبع وينشر ، لابد من التفاعل الحى والخلاَّق مع الواقع الثقافى .

ثم يدافع **يوسف القعيد** عن المؤلف قائلاً : ثم ما خطورة رواية لم توزع خلال ٣ سنوات سوى ٨٩ نسخة فى بلد يسكنه ٥٥ مليون مصرى ؟ وما هى الخطورة التى تمتلكها رواية ونحن أمامنا جبال الأمية التى تزداد يوماً بعد يوم ؟ ثم ما هى حكاية **مجمع البحوث الإسلامية** مع الكتب ؟ إن وظيفة الأزهر طبقاً للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٠ هى العمل على إظهار حقائق الإسلام فى مواجهة الآخرين وليس ضمن هذه الوظيفة تعقب الأعمال الأدبية ومصادرتها .

إن الإسلام نُورٌ وهداية . ومحاكم التفتيش اختراع أوربى توجد الآن رغبة لدى البعض لكى يتم إلصاقها بالإسلام زورًا وبهتاناً ، فمصر عرفت فى المنطقة فى السنوات الأخيرة بحرية فى التعبير غير مسبوقة وديمقراطية نباهى بها بعد أن اكتشفنا أنه لم يعد لدينا شيء آخر نباهى به ، إن المساس بحرية التعبير ومحاولة تعكير الجو الديمقراطى إساءة للنظام والحكم قبل أن تكون إساءة للشعب المصرى .

● وقبل صدور الحكم على المؤلف وأثناء التحقيقات تطوع للدفاع عنه أمام

المحكمة اثنان من العلمانيين المجاهرين بكرههم للإسلام وعدائهم له رغم أنهما من المسلمين .. **الأول** : هو الدكتور **فرج فودة** زعيم العلمانيين فى مصر **والثانى** : هى : الدكتورة **نوال السعداوى** رئيس جمعية تضامن المرأة العربية التى قامت الحكومة المصرية مؤخرًا بحلها لنشاطها المشبوه المخالف للإسلام .

دفاع فرج فودة عن علاء حامد :

أما الدكتور **فرج فودة** فقد دار بينه وبين هيئة المحكمة الحوار التالى :

هيئة المحكمة : ما هى علاقتك بعلاء حامد ؟

د . فرج فودة : لا توجد علاقة بينى وبينه وأنا لم أقابله من قبل .

هيئة المحكمة : على ماذا تشهد ؟

د . فودة : أنا لا توجد علاقة بينى وبين علاء حامد وشهادتى حول حرية الكاتب فى الاعتقاد وفى إبداء الرأى وفقاً لما يكفل الدستور ومواثيق حقوق الإنسان والعقيدة الإسلامية ذاتها ..

هيئة المحكمة : هل اطلعت على الكتاب المذكور ؟

د . فودة : نقل لى صديق مضمون الكتاب مؤخراً كما أننى قرأت فى الصحف القومية متابعة الموضوع ولم أقرأ الكتاب حتى اليوم .

هيئة المحكمة : ما قولك فيما جاء بتقرير مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عن كتاب « **مسافة فى عقل رجل** » ؟

د . فودة : قرأت هذا التقرير وأنا فى طريقى إلى التحقيق وحزنت جدًا لضياع أموال المسلمين وجهد علماء المسلمين فيما جاء فى التقرير .

والقراءة السريعة للقرآن الكريم تؤكد أن أكثر من هذه الاتهامات إن صحت قد حدث فى حق الرسول والدين الإسلامى ولا يوجد نص قرآنى واحد يجرم ذلك فى الدنيا فكل النصوص تحيل العقاب إلى يوم القيامة أو الآخرة .

وبالنسبة للكفر بعد الإسلام ذكر القرآن : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وَكَفَرُواْ بعد إسلامهم** ﴾[1].

---

(١) التوبة/ ٧٤ .

وسوف أقدم تقريرًا عن رأيى فيما يسمى بجريمة الردة ولكنى أذكر أن ما ورد فى تقرير الأزهر باستثناء احتقار الدين إن صح لا يدخل تحت جريمة ازدراء الأديان وهناك فرق بين الاحتقار والازدراء .

هيئة المحكمة : وما دليلك على ذلك ؟

د . فودة : دليلى على ذلك أن غير المسلمين مثل النصارى واليهود ينكرون بداهة الدين الإسلامى فهل إنكارهم يعد جريمة ؟

أما بالنسبة للازدراء المشار إليه إن صَحَّ فإنه واضح من تقرير الأزهر أن الكاتب يروى خيالاً ويقصد حلماً وأن مسألة تفسير بعض الخيال على أنه ازدراء للدين مسألة تقديرية الواجب أن يرد عليها بالرأى وليس بالعقاب .

هيئة المحكمة : ما قولك فيما جاء فى تقرير مجمع البحوث عن الكتاب سالف الذكر من انطوائه على عبارات تتضمن ازدراء للأديان والأنبياء بصفة عامة والدين الإسلامى بصفة خاصة ؟

د . فرج فودة : هناك عبارات لا يختلف عليها أحد وأنا شخصياً لا أختلف عليها من أنها لا تتنكر للدين ولا تزدريه **كقوله** : « أنا مسلم بالميراث ولو ولدت من صلب ملحد لأصبحت ملحدًا .. فلا اختيار للمسلم فى دينه » فما ذكره المؤلف هو إقرار بحقيقة ومجرد رأى وليس فيه أى شبهة ازدراء ..

وأيضاً قوله : « ثم لماذا يغير الإنسان عقيدته وقد فقد اهتمامه بالدين كمنهاج فى الحياة » .

فلو قال الأستاذ علاء أكثر من ذلك بمعنى أنه لو قال : أنه هو نفسه فقد اهتمامه بالدين كمنهاج فى الحياة فهذا الخوض فى تقديره ضمن حرية الاعتقاد المنصوص عليها فى الدستور وهذا يعنى حرية الإيمان أو تغيير المذهب من شافعى إلى حنبلى .

ثم قوله : « ما جدوى الأديان وقد شدت الشرق إلى أحضان التخلف ورفعت هامة شعوب لا تؤمن بالأديان .. ؟» .

هذا فى تقديرى مجرد رأى كان يجب على المدافعين عن الدين أن يردوا عليه بما هو أجدى للأديان وتفسير كيفية ارتفاع هامة الشعوب التى لا تؤمن بالأديان إلى قمة الحضارة .

ثم قوله : « انقلب الحال فأصبح الدين سُبَّة فى تواريخ الشعوب » .
واضح هنا أنه يتكلم عن الدين على إطلاقه ومعلوم أن هناك أديان سماوية وأخرى غير سماوية .. والقصد فى العبارة غير واضح .. وفى كل الأحوال هو تساؤل يضاف إلى التساؤل السابق ورأى يجب ويمكن الرد عليه .

ثم تساؤله : « وهل يعنى ذلك أنه يجب وضع الدين فى إطاره الصحيح وهو علاقة الإنسان بربه فقط ... » .

هذا فى تقديرى تساؤل مشروع ويدخل ضمن الخلاف السياسى وليس الدين لأن البعض يرى أن الإسلام دين فقط .. والبعض يرى أنه دين ودولة .

وفى النهاية هو مجرد تساؤل وليس ازدراء .

أما ما قيل عن سخريته بالعلماء (مع التعسف فى التفسير) وذلك بمقولة : « إخوان شمهورش » والمقصود هنا علماء الدين .. من قال هنا إن التفسير صحيح ؟ ومن قال : إن لعلماء الدين حصانة ضد النقد وحتى السخرية ؟ ومن قال : إن الهجوم على علماء الدين يعنى الهجوم على الدين ؟

ومن قال : إن ما ذكره الأستاذ علاء عن « إخوان شمهورش » لا ينطبق على بعض المتاجرين بالدين فى حد ذاته يجنون من وراءه ثمرات المال والسلطة .

أما العبارات التى وردت فى التقرير تفيد التشكيك إن صح فهذا ليس تشكيكاً وهو ليس أكثر من تساؤلات فلسفية وحتى لو قال ذلك بأدب ولباقة فهل بعد هذا ازدراء وإنكار ؟

لو أنه ذكر الأمر بصيغة الإثبات وليس بصيغة التساؤل لكان هذا إنكارًا للدين .. ولكن هذا أمرًا يدخل ضمن حرية الاعتقاد وحرية الفكر .. وإذا كان هناك من يكتب مجلدًا فهناك الآلاف ممن يردون عليه ويؤكدون على الإيمان .

أما حديثه الذى فيه الشك فى ماديات الجنة من « الحور العين ... » فهو تساؤل فلسفى مشروع إنساق فيه إلى ظاهر النص كما يعتقد بعض العلماء وإن كان هناك تفسير آخر للجنة والنار يتجاوز نص الألفاظ وظاهر العبارات إلى المعانى الروحية .

أما قوله : « نحن الحقيقة والحقيقة نحن وما عدانا هو الوهم .. وطالما

أن الله الحقيقة فأنا الله » .

هذا القول هو قول صوفى مأثور ومنقول عن الحلاج وهو أحد الأئمة الصوفية ومنه قوله : « لا يوجد فى الجنة إلا الله » .

وأما قوله : « لقد عجزت الأديان عن تفسير علمى ... » فهو يعبر عن شك فى الأديان دون تحديد ما هو المقصود من الأديان .. هل دين سماوى أو غير سماوى ؟

وواضح من التقرير أن كل ما يقال مجرد شكوك والشك لغوياً هو حالة وسط بين القبول والرفض .

وأما قوله : « أليس من حقنا أن نتساءل عن الرسل ؟ من هم ؟ وما هى هويتهم ؟ » .

فهو سؤال مشروع مُوَجَّهٌ إلى علماء الدين الذين كان واجبهم أن يوضحوا لهم من هم الرسل .

ويختم **د . فرج فودة** شهادته أمام المحكمة بقوله : إننى لا أدافع عن **علاء حامد** ولكن أدافع عن قيمة حرية العقيدة التى أرى أنها مطلقة بغير حد ، وحرية إبداء الرأى التى يجب أن تكون مكفولة بغير ضبط .

دفاع نوال السعداوى عن علاء حامد :

وأما الشهادة الثانية فقد جاءت من الدكتورة **نوال السعداوى** وهى – كما ذكرنا – رئيسة « **جمعية تضامن المرأة العربية** » التى قامت الحكومة المصرية بحلها لنشاطها المشبوه .. وهذا نص الحوار الذى دار بينها وبين هيئة المحكمة :

هيئة المحكمة : ما تعليقك على ما ورد فى تقرير مجمع البحوث الإسلامية فى شأن كتاب « **مسافة فى عقل رجل** » من احتوائه على عبارات تُحَقِّر الأديان السماوية والرسل ؟

د . نوال السعداوى : أنا لا أستطيع أن أرد على كل مقطع على حدة من هذه العبارات وإنما من الممكن أن أتحدث عنها بشكل عام فهى قضية خيالية لا تخضع لمقاييس العقل أو المنطق أو أى مقياس آخر .. وهو أيضاً ليس كتاباً فلسفياً أو دراسة فى الدين ولكنه مجرد خيال فى خيال .

هيئة المحكمة : ما تعليقك إذن لما ورد بتقرير مجمع البحوث من انطواء الكتاب على ازدراء للأديان والكتب السماوية بصفة عامة والرسل والأنبياء

والمعتقدات الدينية والدين الإسلامى بصفة خاصة ؟

د . نوال السعداوى : أعتقد أن ما ورد فى التقرير هو عدم فهم .. وسبب الاختلاف هو استخدام مقياس المنطق فى عمل غير منطقى وخيالى .. فهذا هو سبب الاختلاف مثل استخدام مقياس الذهب لقياس الماء .

هيئة المحكمة : ما هى علاقتك بالمتهم ؟

د . نوال السعداوى : لم أره فى حياتى .. وإننى أدافع عن حرية المعتقد وحرية الفكر .

هيئة المحكمة : هل لديك أقوال أخرى ؟

د . نوال السعداوى : أقول إن المؤلف الروائى لا علاقة له بالشخصيات الخيالية التى يرسمها فى روايته .. وربما يكون مختلفاً معها فلسفياً .. ومثال ذلك أننى إذا كتبت عن امرأة سيئة السمعة فليس معنى ذلك أن الكاتب أو الكاتبة سيئة السمعة .

تعقيب : والحقيقة أن هذه الشهادة التى شهدها كل من **فرج فودة** زعيم العلمانيين فى مصر **ونوال السعداوى** ذات الفكر الشيوعى والداعية إلى الإباحية وتحلل المرأة أمام المحكمة وإن كانت فى ظاهرها دفاعًا عن المؤلف إلا أنها فى حقيقة الأمر إدانة جديدة له تضاف إلى ما حمله كتابه من إدانات مختلفة ، وهى شهادة تؤكد على عدائه للإسلام ومحاربته للأديان ، ونيته المبيتة للتهجم على الرسل والأنبياء ، وتعمده لتحقيق هذا الهدف من خلال كتابه محل الاتهام ، ولو كان الأمر غير ذلك ما تطوع هذا العلمانى وتلك الشيوعية للذهاب إلى المحكمة والدفاع عنه .. فهما كما قالا فى شهادتهما لا يعرفان المؤلف ولم يقرأ أى منهما ما كتب المؤلف ولكنهما أدركا أن ما كتبه يساهم فى تحقيق أهدافهم الخبيثة فى حرب الإسلام وتهميشه والطعن فيه وإبعاده عن ساحة الحكم فى البلاد .. ومن هنا تطوعا للدفاع عن صاحب هذا الكتاب أياً كان هو حتى لا تدينه المحكمة ويتمكن من إكمال رسالته فى خدمة هدفهما الخبيث ولكن لم يتحقق لهما ما سعيا من أجله ، ويبدو أن هيئة المحكمة قد أدركت خبثهما الذى بدا من شهادتهما فاتخذتها إدانة للمؤلف لا دفاعًا عنه وأصدرت حكمها بسجنه .



خاتمة

وبعد ...

فهذه هى قضية علاء حامد برمتها كما تناولتها الصحف ووثائق المحاكمة وكما جاءت من خلال التقارير والردود التى كتبت حول الرواية محل الاتهام « مسافة فى عقل رجل أو محاكمة الإله » وقد أردت نقلها للقارئ المسلم نقلاً أميناً ليعلم حقيقتها ولا ينخدع بما ردده العلمانيون والشيوعيون حول – محاكمة الفكر وحرية الرأى والعقيدة .. فحرية الرأى والفكر والعقيدة بريئة كل البراءة – مِمَّا كتبه علاء حامد فى هذا الكتاب الشيطانى الذى لا يختلف عن آيات سلمان رشدى الشيطانية فى قليل أو كثير .. فالفرق شاسع – كما قلنا – بين حرية الفكر والرأى والاعتقاد وبين الإسفاف والسَّبِّ والقذف والإهانة للرسل والأنبياء والكتب السماوية .

ونحن نؤكد أن علاء حامد قد وقع – بدراية منه أو بغير دراية – ضمن مخطط عدائى رهيب تقف من وراءه الصليبية والصهيونية والشيوعية وقوى التغريب لحرب الإسلام والحط من شأنه ، والطعن فى رسوله وزعزعة العقيدة فى نفوس المسلمين .. بل والطعن فى كل ما هو مقدس من العقائد والمسَلَّمات .. وهذا مخطط خبيث كل الخبث لأنه استطاع أن يُسَخِّر من أبناء المسلمين من يعمل لصالحه .

وربما تساءل البعض فى النهاية : لماذا لا يقوم علماء الإسلام ومفكروه بالرد على علاء حامد ودحض شبهاته ومفترياته ؟ .

ولكن يجب أن نعلم أن ما كتبه علاء حامد ليس فكراً يُرَدُّ عليه ولا آراء تستحق التفنيد والنقاش ولكنه مجرد سَبُّ للدين والعقيدة وإسفاف وتطاول على الحق سبحانه وعلى دينه ورسله وأنبيائه وكتبه .. ولا يمكن لأى إنسان أن يرد على السب والإسفاف بفكر مساو .

وإذا كان العلمانيون والشيوعيون فى مصر وخارجها قد دافعوا عن علاء حامد فهؤلاء ينعقون بما لا يعلمون ودفاعهم فى حقيقته إدانة جديدة للمؤلف لأنهم على شاكلته وهدفهم فى النهاية واحد وهو الطعن فى الإسلام وحربه وتشويه مبادئه وأحكامه .



المراجع

* **القرآن الكريم .**

١ - **أحجار على رقعة الشطرنج** - الأميرال وليام غاى كار - ترجمة سعيد جزائرلى - دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان .

٢ - **أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى** - د . على محمد جريشه ومحمد شريف الزيبق - دار الاعتصام ١٩٧٨ م .

٣ - **الإسلام بين قوة أعدائه وجهل أبنائه** - مقال للمؤلف نشرته مجلة رسالة الجهاد - العدد ٩٩ مايو ١٩٩١ م .

٤ - **أصول المجتمع الإسلامى** - المستشار الدكتور جمال الدين محمود سلسلة دراسات فى الإسلام - العدد ٢٥٢ محرم ١٤٠٤ هـ - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٥ - **أهداف التغريب فى العالم الإسلامى** - أنور الجندى سلسلة قضايا إسلامية معاصرة ١٩٨٧ م.

٦ - **الحركة الصهيونية من داخلها** - بحث للدكتور جبر محمد حسن على منشور بالمجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة - العدد الثالث محرم ١٤١٢ هـ .

٧ - **الصارم المسلول على شاتم الرسول** - لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا بيروت .

٨ - **ضمانات الحرية فى النظام الإسلامى وتطبيقاتها** - د . منيب محمد ربيع - سلسلة البحوث الإسلامية - السنة الرابعة عشر - الكتاب الثانى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

٩ - **محاضرات فى الفقه الجنائى الإسلامى** - المستشار محمد بهجت عتيبة - معهد الدراسات الإسلامية ١٩٩٠ م .

١٠ - **المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام** - محمد محمود الصواف - دار الاعتصام ١٩٧٩ م .

١١ – **المسلمون بين الأزمة والنهضة** – د . عبد الحى الفرماوى – دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة ١٩٩٠ م .
١٢ – **نظم الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية – دراسة مقارنة** – المستشار عمر شريف – مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية ١٩٩٠ م .

★ وثـائـق :

١ – تقرير مجمع البحوث الإسلامية بشأن كتاب « مسافة فى عقل رجل » .
٢ – رد المؤلف علاء حامد على تقرير مجمع البحوث الإسلامية .
٣ – رد الدكتور أحمد صبحى منصور على تقرير مجمع البحوث الإسلامية .
٤ – نص شهادة كل من د . فرج فودة والدكتورة نوال السعداوى أمام المحكمة .

★ دوريـــات :

١ – جريدة الأهالى .
٢ – جريدة الأهرام .
٣ – جريدة الأخبار .
٤ – جريدة الجمهورية .
٥ – جريدة السياسة الكويتية .
٦ – جريدة اللواء الإسلامى .
٧ – جريدة النور الإسلامية .
٨ – جريدة الوفـد .
٩ – مجلة روز اليوسف .
١٠ – مجلة شباب بلادى .
١١ – مجلة المصور .



فهرس الكتاب

★ □ ★ □ ★

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٨٨٨/ ١٩٩٢

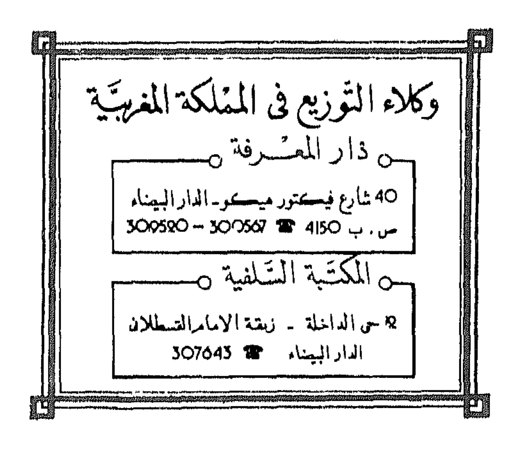
الترقيم الدولى ٠ -٢٣ -٥١٤١- ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١



دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة : القاهرة - ٢٢ شارع محمد يوسف القاضي - كلية البنات
مصر الجديدة - ت ٦٦٢٢٢٢٢ - فاكس ٦٦٢٢٢٢٢
المكتبة : ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة ت ٣٩٠٩٢٣١
دولة الإمارات : دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦



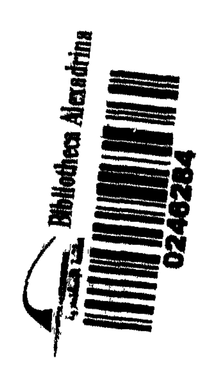
وكلاء التوزيع في المملكة المغربية

ذار المعرفة

40 شارع فيكتور ميكو - الدار البيضاء
ص . ب 4150 ☎ 300567 - 309520

المكتبة السلفية

12 حي الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني
الدار البيضاء ☎ 307643



٤٠٠ قرش